من آيات إطعام الطعام
والترهيب من منعه
دراسة تحليلية
في ضوء علم اللغة الاجتماعي

إعداد الدكتورة

زهراء محمد سعيد شنن

مدرس أصول اللغة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

بنات – القاهرة ـ جامعة الأزهر

من آيات إطعام الطعام والترهيب من منعه
(دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعي)

زهراء محمد سعيد شنن:

قسم أصول اللغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات، جامعة الأزهر، القاهرة

البريد الإلكتروني: zahraamuhamad.32@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث موضوعًا يُعد من الركائز الأساسية في تحقيق التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي، وهو الحث على إطعام الطعام، وذلك من خلال تتبع بعض الآيات القرآنية التي تناولت الحث على إطعام الطعام، ويهدف البحث إلى دراسة لغة القرآن الكريم في هذه الآيات بمستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية، وما تحمله من معان اجتماعية، نظرًا لأن هذه المعاني تُعد جزءًا لا يتجزأ من النظام اللغوي. وقد استخدمتُ في تحليل الآيات القرآنية: المنهج الوصفي الذي يقوم على وصف اللغة ويُحلِلها إلى مستوياتِها المختلفة. ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث ما يلي : أوضح البحث أن الوحدات الصوتية المستعملة في آيات إطعام الطعام، بما لها من إيحاءات، تسهم في استجلاء أثر اللفظ في التركيب، ثم أثر التركيب في النص، وأخيرًا أثر هذا النص في النفس البشرية ومن ثَمَّ في المجتمع. أن الأصوات والبنى الصرفية والتركيبية تسهم في إبراز المعاني الاجتماعية التي يحملها النص. أن المعاني التي تتسم بالطابع الاجتماعي تُعد ذات أهمية كبيرة، إذ تسهم في بناء مفهوم خاص للنصوص القرآنية. أن إطعام الطعام يُعد من أبرز مظاهر الإيمان، ويدخل ضمن العبادات، بل هو من أفضلها.

الكلمات المفتاحية: علم اللغة الاجتماعي –إطعام الطعام، الترهيب، البنى التركيبية، الأصوات .

Verses on Food Provision to the Poor and the Threat of Withholding It

Zahraa Mohamed Saeed Shannan

Department of Linguistic Fundamentals, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Cairo, Egypt

Email: zahraamuhamad.32@azhar.edu.eg

Abstract

This research deals with a topic that is considered one of the fundamental pillars in achieving social solidarity in the Islamic society, which is the encouragement of providing food for the poor "feeding the poor", by tracing some Quranic verses that address the encouragement of feeding the poor. The research aims to study the language of the Holy Quran in these verses at its phonological, morphological, and syntactic levels, and the social meanings it carries, since these meanings are an integral part of the linguistic system. I have used in analyzing the Quranic verses the descriptive method which is based on describing the language and analyzing it at its various levels. Among the most important results reached by the research: the phonological units used in the verses of feeding the poor, with their connotations, contribute to clarifying the effect of the word on the structure, then the effect of the structure on the text, and finally the effect of this text on the human soul and then on society. The sounds, morphological and syntactic structures contribute to highlighting the social meanings carried by the text. The meanings that are characterized by a social nature are of great importance, as they contribute to building a special understanding of the Quranic texts. Feeding the poor is considered one of the most prominent

manifestations of faith and is included among the acts of worship, rather it is one of the best of them.

Keywords: Sociolinguistics, Feeding the poor, Intimidation, syntactic structures, sounds.

مقدمة:

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاةُ والسلامُ على معلَّم البشريةِ، سيدنا محمد, وعلى آلهِ وصحبهِ، ومن سارَ على نهجهِ، واتبعَ هُداهُ إلى يومِ الدين.

أما بعد..

لما كان إطعامُ الطعامِ شعيرةً مستقلةً في الإسلام، وتشريعًا لا تستقيم الحياة إلا به، فقد أولاهُ القرآن الكريم اهتمامًا بالغًا، حيث دعا إلى إطعام الطعام، وأثنى على من يقوم به، كما في قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (الإنسان:٨ ،٩).

وقد تميَّز حث القرآن الكريم على إطعام الطعام، لا سيما للمساكين، بأسلوب مختلف عن غيره من أساليب الحث على أعمال الخير؛ إذ لم يقتصر على الترغيب والمدح لأهل هذه الفضيلة، بل جاء مقرونًا بالتوبيخ والتقريع لمن امتنع عنها، مما يدل على عِظم هذه القيمة الأخلاقية، ومكانتها في المجتمع الإنساني، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ (الحاقة٣٣ :٣٤).

ويأتي النَّظمُ القرآنيُّ في تراكيبهِ اللغويةِ بتدابيرٍ قانونيةٍ وخُلقيةٍ واجتماعيةٍ في آنٍ واحدٍ، لإصلاحِ الحياة البشرية، مخاطبًا بذلك النُّفوس والعواطف الإنسانية.

وبما أن الأحكام والتعاليم الإسلامية في آياتِ إطعامِ الطعامِ تُعد حجر الأساس في الحياة الاجتماعية والأخلاقية للمسلمين، فقد آثرت دراسةِ بعض آيات إطعام الطعام وما فيها من ترهيب لمن يمتنع عنه، دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعيّ، فجاء عنوان البحث كالتالي **(من آيات إطعام الطعام والترهيب من منعه، دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعيّ)**

فالآيات الكريمات تحمل تعليمًا راقيًا، وترسيخًا لمبادئِ الأخلاقِ، وبناءً للوعي الرشيد؛ لأن الإسلام يهدف إلى تحقيقِ التكافلِ، والتراحمِ والتعاونِ، من خلال إطعامِ المساكينِ والفقراءِ وسد حاجاتهم، مما يُحقق الأمن الغذائي للإنسانيةِ جمعاء مسلمها وكافرها.

كما أنَّ خُلُق إطعام الطعام يُعد من أهم الأخلاق؛ لتعلقه بإنقاذ حياة الفقراء والمساكين والجوعى، الذين ازداد عددهم في عصرنا، نتيجة لكثرة الكوارث التي تُؤدي إلى المجاعات، من حُروب ونزاعات، أو كوارث خارجة عن إرادة الإنسان، كالزلازل والفيضانات وغيرها، مما يُؤثر في أحوال النَّاس ومعايشهم.

ويهدف البحث إلى دراسة لغة القرآن في آيات إطعام الطعام وما ورد فيها من ترهيب لمن يُقصِّر في هذا الجانب، في ضوء علم اللغة الاجتماعي، وقد اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل البنية اللغوية (الصوتية، والصرفية، والتركيبية) للآيات، وربطها بالبعد الاجتماعي، وقد اقتصر البحث على بعض صور الحث على إطعام الطعام في القرآن الكريم.

وقد جاءت خطة البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة .

المقدمة: بينت فيها أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وخُطته

والتمهيد، تحدثت فيه عن النقاط التالية :-

أولا: بيان معنى إطعام الطعام.

ثانيًا: الرفادة وإطعام الطعام في الجاهلية.

ثالثًا: أهمية الإطعام في الإسلام.

رابعًا:علم اللغة الاجتماعي تعريفه ومجالاته.

المبحث الأول: إطعام الطعام في شعيرة الحج.

المبحث الثاني: إطعام الطعام في المجاعات.

المبحث الثالث: الترهيب من منع إطعام الطعام، وعقوبته.

الخاتمة: وبها أهم نتائج البحث، ثم ثبت بالمصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

التمهيد

أولا: بيان معنى إطعام الطعام:

الإطعام مأخوذ من الفعل طَعِمَ، قال ابن فارس:"الطَّاءُ وَالْعَيْنُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ فِي تَذَوُّقِ الشَّيْءِ، يُقَالُ: طَعِمْتُ الشَّيْءَ طَعْمًا، وَالطَّعَامُ هُوَ الْمَأْكُولُ"(١)، و:"الطَّعامُ: اسمٌ جامعٌ لِكُلِّ مَا يُؤكَلُ، وَقَدْ طَعِمَ يَطْعَمُ طُعْماً، فَهُوَ طاعِمٌ إِذَا أَكَلَ أَو ذاقَ"(٢).

والإطعام في اللغة معناه: "إعطاء الطعام لمن يتناوله، وهو عند الفقهاء يستعمل بهذا المعنى، وقد يستعمل الإطعام في الشراب أيضًا، قال الله تعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ ﴾ (البقرة: ٢٤٩)(٣)، والإطعام: كل ما يُؤكل، وبه قوام البدن(٤).

فمعنى إطعام الطعام: تقديمه إلى الجوعى والمحتاجين لينعموا بقوتٍ يبنون عليه استمرار حياتهم.

ثانيًا: الرفادة وإطعام الطعام في الجاهلية:

كان إطعام الطعام في المجتمع العربي قبل الإسلام رمزًا من رموز الكرم والجود، ويُعد من القيم التي اكتسبت حضورًا بارزًا في المجتمع الجاهلي،

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا(ت ٣٩٥هـ)، (ط ع م)، تح: عبد السلام محمد هارون: ج٣ ص٤١٠، (دار الفكر).

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت٧١١هـ): ج١٢ص ٣٦٣، (دار صادر – بيروت)، ط ٣.

(٣) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، مدرس أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون – جامعة الأزهر، ص١ج ٢١٥، دار الفضيلة .

(٤) القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو جيب: ص ٢٢٩، دار الفكر، دمشق – سوريا، ط٢، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .

خصوصًا في موسم الحج فيما يُعرف بـ(الرفادة)، "وهي إطعام الحجاج في أيام موسم الحج حتى يرجعوا إلى بلادهم"[١]، وقد فرضها (قصي بن كلاب) الجد الأعلى للنبي صلى الله عليه وسلم على قريش، إذ قال لهم: "يا معشر قريش, إنكم جيران الله وأهل مكة وأهل الحرم، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته، وهم أحق بالضيافة، فاجعلوا لهم طعامًا وشرابًا أيام الحج، حتى يصدروا عنكم"[٢].

وقد أشار إلى هذا ابن حبيب البغدادي في كتابه(المحبر) بقوله:"كانت للعرب ست مناقب قبل الاسلام، فثلاث هدمها الاسلام وثلاث زادها الاسلام شدة: منها (السدانة) و(السقاية)، ومنها أن قريشًا كانت (تطعم الصبا) ما هبت، فإذا سكنت أمسكوا" [٣].

وكان (الزبرقان بن بدر) من سادة قريش الذين عُرِفوا بإطعام الطعام وقت الأزمات الاقتصادية، ومن أبياته التي يفتخر فيها بإطعام الطعام:

نَحْنُ الْكِرَامُ فَلا حَيَّ يُعَادِلُنَا مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبِيَعُ (البسيط)

وَكَمْ قَسَرْنَا مِنْ الأَحْيَـاءِ كُلِّهِمْ عِنْدَ النِّهَابِ وَفَضْلُ الْعِزِّ يُتَّبَعُ

وَنَحْنُ يُطْعِمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مُطْعِمُنَا مِنْ الشِّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْنَسْ الْقَزَعُ [٤].

---

(١) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي (ت: ١٤٠٨هـ):ج٧ ص ٥٥، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٢) السابق ج٧ ص٥٦.

(٣) المحبر، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت٢٤٥هـ)،تح: إيلزة ليختن شتيتر ص: ٢٤١، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(٤) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت ١٣هـ) تح: مصطفى السقا: ج ٢ ص٥٦٣، ط٢،١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م.

"ونجد فكرة مساعدة الفقير، والاستهانة بالمال بإنفاقه على المعوِزين، والإنعام به على الفقراء، في أبيات أخرى في مثل:

والخالطين غنيّهم بفقيرهم والمُنعِمين على الفقير المرمل (الطويل)"(١).

ثالثًا:أهمية الإطعام في الإسلام:

لقد دعا الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين في كثير من الآيات القرآنية إلى إطعامِ الطعامِ، والاعتناءِ بمصالح المسلمينَ، والسعي إلى تأليف قلوبهم، فإطعام الطعام من أفضل الأعمال التي يتقرب بها المسلم إلى الله عز وجلّ؛ لِمَا فيه من الثواب العظيم والأجر الكبير، بالإضافة إلى المعاني الاجتماعية التي يُبرزها إطعام الطعام من التعاون والتكافل وسد الحاجة، والمؤازرة بين الناس جميعًا.

ولأهمية إطعام الطعام باعتباره قيمة إنسانية ومظهرًا من مظاهر التكافل، جعله الله تبارك وتعالى من مكفرات الذنوب، كما ورد في كفارة الظهار، قال تعالى: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾ (المجادلة: ٤)، كما أن عدم الإطعام وخاصة إطعام المساكين، وعدم الحث على إطعامهم دليل على نقص الإيمان، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ (الحاقة٣٣ :٣٤)، وفي هذا:"إشارة إلى ما لرعاية المساكين والعطف عليهم من تقدير واعتبار، فى مقام الإيمان، حيث جاء ذلك بعد الإيمان بالله، معطوفا عليه، وموازنًا له.. وهذا يعنى أن من الإيمان بالله العطف والإحسان إلى عباد الله، إذ كان هؤلاء المساكين هم ضيوف الله، فمن أكرمهم لله، أكرمه الله، ومن أهانهم، وأمسك يده عنهم، أهانه الله، وأمسك رحمته

(١) ينظر: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج٩ ص ٨٥- ٨٦.

عنه [١]، والقرآن الكريم لم يستعمل الحض في آياته الثلاث، إلا في سياق الإنكار لعدم التواصي برعاية المسكين وإطعامه مع اقتران هذا الإنكار بالكفر بالله والتكذيب بالدين[٢].

ولا شك أنَّ إطعام الطعام من أفضل القربات، وأجلِّ الطاعات، وهو من أسباب دخول الجنة، وقد جاء في الحديث الشريف:"**يأَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ**"[٣].

ويحضُرُني في هذا المقام قول أبي حاتم رَضِيَ اللَّه عنه:" إني لأستحب للعاقل المداومة على إطعام الطعام والمواظبة على قرى الضيف؛ لأن إطعام الطعام من أشرف أركان الندى ومن أعظم مراتب ذوي الحَجَى ومن أحسن خصال أولي النُّهى، ومن عُرِف بإطعام الطعام شرُف عند الشاهد والغائب وقصده الراضي والعاتب، وقرى الضيف يرفع المرءِ وإن رقَّ نسبه إلى منتهى بغيته ونهاية محبته ويشرفه برفيع الذكر وكمال الذخر"[٤].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم العديد من الآيات القرآنية التي تتناول إطعام الطعام، حيث وردت الدعوة إليه في أكثر من ثلاثين موضعاً، مؤكدًا على أهمية سد حاجة الفقراء والمساكين، وفي بعض المواضع يبين أنَّ هذا العطاء ليس تفضلاً أو منًّا، بل هو حق للسائلين والمحرومين.

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)، ج١٦ص ١٦٨٥، دار الفكر العربي– القاهرة.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، ج١٥ص ١١٤٦.

(٣) الحديث رواه: عبدالله بن سلام، وورد في سنن ابن ماجه ج١ ص ٤٢٣، باب ما جاء في قيام الليل، حديث رقم (١٣٣٤).

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت ٣٥٤هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد: ص ٢٥٨، دار الكتب العلمية – بيروت.

كما نجد في مواضع أخرى أنَّ الحث على إشباع الجائعين وسد حاجاتهم الأساسية، يُعد جزءًا أصيلاً من متطلبات الإيمان، كالصلاة تمامًا، وأن الإعراض عن هذا الحثّ يُخرج صاحبه من دائرة الدين، ويقرنه بالكذب، كما في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ (الماعون:١-٣)

وقد اقتصر البحث على دراسة آيات الإطعام المرتبطة بشعيرة الحج، وآية الإطعام في سياق المجاعات، ثم آيات الترهيب من منع إطعام الطعام، وبيان عقوبته.

رابعًا: علم اللغة الاجتماعي تعريفه ومجالاته:

علم اللغة الاجتماعي فرع من فروع علم اللغة، لكنه يقع في الجانب التطبيقي منه، أي يقع في مجال علم اللغة التطبيقي أو اللغويات التطبيقية Applied linguistics، بالنظر إلى أن معظم موضوعاته تقع في هذا الجانب، وهذا العلم من العلوم الحديثة التي لم تتضح معالمها ولم تستقل استقلالا تاما إلا في أواخر الخمسينات وبداية الستينات من القرن العشرين(١)، وهو مَعْنِيٌّ بعلاقة اللغة بالمجتمع، وتأثير كل من اللغة والمجتمع على الفرد وهويته(٢).

تعريف علم اللغة الاجتماعي:-

هناك تعريفات كثيرة لعلم اللغة الاجتماعي عند اللغويين، فيعرفه هدسون بأنه:"دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع"(٣).

(١) مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، محمد عفيف الدين دمياطي: ص ٧، مكتبة لسان عربي، مالنج – أندونيسيا– ط٢ –٢٠١٧م–١٤٣٨هـ.

(٢) مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي في الوطن العربي (محاور ونظريات)، ريم البسيوني: ص٥، المملكة العربية السعودية – الرياض–ط١(١٤٤٠هـ–٢٠١٨م).

(٣) علم اللغة الاجتماعي، هدسون، ترجمة: محمود عياد: ص ١١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠م.

ويعرفه د/ كمال بشر بأنه :"ذلك العلم الذي يدرس اللغة في علاقتها بالمجتمع، إنه ينظم كل جوانب بنية اللغة، وطرائق استعمالها التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية"(١).

ويرى د/ تمام حسان:" أن الوصول إلى هذا المعنى الاجتماعي يتم بطريق التحليل الدقيق للملابسات المصاحبة للنطق"(٢).

مجالات علم اللغة الاجتماعي:-

يُحدد كريستال مجال هذا العلم قائلاً: "يدرس علم اللغة الاجتماعي الطرق التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع، أي أنه يدرس الطريقة التي بها تتغير البنية اللغوية استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة، والتعريف بماهية هذه الوظائف"(٣).

فهذا العلم بمعناه الواسع يعني:"بدراسة الواقع اللغوي في أشكاله المتنوعة باعتبارها صادرة عن معاني اجتماعية وثقافية مألوفة وغير مألوفة، ويشمل أيضًا كل ما يتعلق بالعلائق بين اللغة والمجتمع ... وكذلك تلك المحاولات التي يمكنها أن تُلحق بعلم اللغة، ومنها طرق التكلم، وموقف المتكلم والمخاطب، واللهجات المحلية، وصور الأنشطة المحكومة بقواعد استخدام اللغة، ومشكلات الاتصال اللغوي، والموضوعات التي تهتم بالتغيرات اللغوية على المستوى الجغرافي والاجتماعي والثقافي للغات المختلفة، أو داخل اللغات، وعلم اللهجات المشتمل على الجغرافية اللغوية، وتحديد مواطن اللهجات ضمن المجتمع الواحد مع وضع الأطالس اللغوية لها ... ويدخل

(١) علم اللغة الاجتماعي(مدخل)، كمال بشر: ص ٣٧، دار غريب.

(٢) مقالات في اللغة والأدب: ج١ ص ٣٣٠، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

(٣) مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبدالعزيز: ص٩١، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة (د ط ت).

ضمن علم اللغة الاجتماعي بمعناه الواسع أيضًا ميادين أخرى كتحليل الخطاب السياسي أو الأدبي أو الديني أو الإعلامي .."[١].

ومن هنا يمكن القول إن تحليل الخطاب يُعد جزءًا مهما من علم اللغة الاجتماعي؛ وبناءً على ذلك، يقوم هذا البحث بتحليل الخطاب القرآني في بعض آيات الحث على إطعام الطعام؛ بهدف استخراج القيم الأخلاقية والاجتماعية الكامنة فيها، وذلك من خلال تحليل الجوانب اللغوية (الصوتية والصرفية والنحوية) في ضوء علم اللغة الاجتماعي.

(١) علم اللغة الاجتماعي عند العرب، هادي نهر: ص٢٤، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

المبحث الأول

إطعام الطعام في شعيرة الحج

الآية الأولى :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ (الحج :٢٨).

أولا: معنى الآية الكريمة:

جاءت الآية الكريمة في سياق دعوة الله عز وجل لسيدنا إبراهيم –عليه السلام – ليؤذن في الناس بالحج:" أي ادعهم إلى الحج ليحضروا منافع لهم دينية بأن يحظوا برضوان الله، ودنيوية بما يصيبون من منافع البدن والذبائح والتجارات، وما يكون في ذلك الاجتماع العظيم من التعارف "[١].

ثانيًا: مناسبة الآية الكريمة للمقصد العام للسورة :–

ذكر البقاعي أنَّ مقصود سورة الحج :"الحثُّ على التقوى، المعلية عن دركة[٢]الاستحقاق الحكيم بالعدل، إلى درجة استئهال[٣] الإنعام بالفضل، في يوم الجمع، لطيف التذكير به "[٤].

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ج١٧ص ١٩٥، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط ٢، ١٤١٨هـ، ينظر:التفسير الحديث، دروزة محمد عزت: ج٦ ص ٣٤، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ١٣٨٣ هـ.

(٢) الدَّرَكُ: إدْراكُ الحاجة والطلبة، ينظر: العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي:(د ر ك)ج٥ ص٣٢٧، دار الهلال.

(٣) يقال: هُوَ أَهْلٌ لِلْإِكْرَامِ أَيْ مُسْتَحِقٌّ لَهُ...، وَيُقَالُ اسْتَأْهَلَ بِمَعْنَى اسْتَحَقَّ، ينظر:المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت٧٧٠هـ)، (أ هـ ل): ج١ص ٢٨، المكتبة العلمية – بيروت.

(٤) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي(ت٨٨٥هـ): ج٢ ص٢٩٤، مكتبة المعارف– الرياض،ط١ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

فلما كان مقصد السورة هو الحث على تقوى الله، ناسب هذا المقصد الآية الكريمة التي تحث المؤمنين على:"الوفادة على الله، مع التجرد من المحيط، والخضوع للرب، والاجتماع في المشاعر موقفاً في أثر موقف، ولما فيه من الحث على التسنن بأبيهم الأعظم إبراهيم عليه السلام"(١).

ثالثًا: الدراسة التحليلية للآية الكريمة :-

أ-الدلالة الصوتية في الآية الكريمة:-

***مَنَافِع:**

يقول الخليل:"النّفع: ضدّ الضَّرّ، نفعه نَفْعاً، وانتفعت بكذا"(٢)، و"النَّفْعُ الْخَيْرُ وَهُوَ مَا يَتَوَصَّلُ بِهِ الْإِنْسَانُ إِلَى مَطْلُوبِهِ يُقَالُ نَفَعَنِي كَذَا يَنْفَعُنِي نَفْعًا وَنَفِيعَةً فَهُوَ نَافِعٌ وَبِهِ سُمِّيَ"(٣).

والمعنى المحوري لمادة (ن ف ع) يدور حول:"فائدة تُنَال من الشيء أو جدوى تعود منه"(٤).

والمنافع الواردة في الآية الكريمة عامة تشمل المنافع الدينية والدنيوية معًا، إذ أنَّ الدين والدنيا "في نظر القرآن مترابطان ترابط الروح بالجسد, فإذا كان الدين

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ): ج ٥ ص١٤٦، دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.

(٢) العين (ن ف ع) ج٢ص ١٥٨.

(٣) المصباح المنير (ن ف ع) ج٢ص ٦١٨، ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/ حامد عبد القادر / محمد النجار) :ج٢ص ٩٤٢، دار الدعوة.

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن حسن جبل، (ن ف ع): ج٤ ص٢٢٤١، (مكتبة الآداب – القاهرة)، ط ١، ٢٠١٠ م.

يمد الروح بالإيمان الصحيح والآداب, فإن أمور الدينا تمده بأسباب البقاء ودواعي الإرتقاء"[١].

ولو نظرنا إلى أصوات مادة (ن ف ع) لوجدناها تبدأت بصوت النون الذي يخرج من"طرف اللسان"[٢]، ويتسم صوت النون بأنه"صوت مجهور يهتز معه الوتران الصوتيان عند النطق به"[٣]، كما أنه "من أوضح الأصوات الصامتة...، وهذا ناجم عن كيفية نطقه، حيث لا يكون هناك إعاقة شديدة للهواء أثناء النطق به"[٤]، وهذا الوضوح والجهر يمثل وضوح هذه المنافع التي تتحقق من خلال أعمال الحج وأثرها على الناس كافة .

ثم صوت الفاء، وهو من أصوات الذلاقة التي تتسم بالخفة والسهولة، مما يحاكي سهولة عطاءات الله تعالى للحجيج من المنافع الدينية والدنيوية، وما فيها من انفتاح يعبر عن انفتاح أبواب الخير الكثيرة لهم، كذلك يتناسب جهر العين مع ظهور هذه المنافع وأثرها على الناس، سواء أكانوا حجيجًا أم غيرهم.

ومن هنا يتجلى أن اختيار لفظة "منافع" في الآية الكريمة يعكس بُعدًا اجتماعيًا يتمثل في سهولة تداول النفع ووضوحه وانتشاره بين الناس في موسم الحج، مما يعزز الترابط بين الأفراد والمجتمعات.

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال: ج٢ ص٤٧٧، حسين بن محمد المهدي – عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية، سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، ٢٠٠٩م، راجعه: عبد الحميد محمد المهدي.

(٢) الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب سيبويه (ت١٨٠هـ): ج٤ ص٤٣٣، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .

(٣) ينظر: علم الصوتيات، عبد العزيز علام، عبدالله ربيع ص ١٩٧، مكتبة الرشيد، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

(٤) ينظر الفكر الصوتي عند العرب دراسة تحليلية، عبد المنعم عبدالله محمد ص١٧١، ط١، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م .

*** أَطْعِمُوا:**

الطَّعامُ اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُؤْكَلُ، وكذلك الشّراب لكلّ ما يُشْرَبُ"[١]، و"طَعْمُ كل شَيْء: مَذاقه وطَعِمْتُ الشيءَ أطعَمه طَعْماً، إذا أكلتَه، وتطعّمتُه، إذا ذقْتَه أَيْضا"[٢]، وَالطَّعْمُ بِالْفَتْحِ مَا يُؤَدِّيهِ الذَّوْقُ فَيُقَالُ طَعْمُهُ حُلْوٌ أَوْ حَامِضٌ"[٣].

وفي اختيار مادة (ط ع م) بأصواتها المفخمة والمجهورة دلالة على القوة والتأثير؛ فالطاء صوت(لثوي، أسناني، مغلق، مطبق)، وهو من الأصوات القوية الذي تُضفي على الكلمة ثقلًا ومعنى جادًا للفعل، أما العين، فهي صوت (حلقي، احتكاكي، مجهور)، يهتز معه الأوتار الصوتية، والميم صوت (شفوي، أنفي، مجهور) يصاحبه إطباق الشفتين وإغلاق محكم لهما، فاجتماع هذه الأصوات يُوحي بأن الإطعام في القرآن ليس فعلاً عابرًا، بل هو فعل قوي ذو أثر، ينسجم مع عمق المعنى القرآني وسمو مقاصده.

ومن هنا يتضح أن الدلالة الصوتية لمادة (طعم) تسهم في إبراز أثر الإطعام بوصفه وسيلة اجتماعية لبناء مجتمع قوي ومتماسك، تسوده الرحمة والتكافل.

*** البَائِس:**

البائس: الرّجلُ النّازلُ به بليّة، أو عُدْمٌ يُرحَمُ لما به، قد بَؤُس يَبْؤُس بؤساً وبُؤْسَى[٤]، وَيُقَال: من البُؤْس وَهُوَ الفَقْر بَئِسَ الرجُل يَبْأَسُ بُؤْساً وبَأْساً وبَئيساً: إِذا افْتَقَرَ، فَهُوَ بائس، أَي: فَقير[٥].

---

(١) العين (ط ع م) ج٢ ص٢٥.

(٢) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي(ت٣٢١هـ)،تح: رمزي منير بعلبكي: (ط ع م) ج ٢ص٩١٦، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

(٣) المصباح المنير (ط ع م) ج٢ ص٣٧٣ .

(٤) العين (ب أ س) ج٧ ص ٣١٦.

(٥) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور(ت٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م (ب أ س) ج١٣ص٧٣.

وتصور اللفظة القرآنية (البائس) مدى حالة البؤس والفقر التي اعترت هذا الإنسان؛ فالباء التي تخرج "بانطباق الشفتين في نقطة أقرب إلى باطنهما انطباقًا محكمًا قويًا"[١] هذا الانطباق القوي يُناسب ملازمة الجفاف والجوع بالبائس الفقير، كما أن صوت الباء وما يحمله من صفة الجهر يُحاكي ظهور أثر البؤس على البائس بمد يده للسؤال وذلك من باب المبالغة في وصفه بالفقر.

أما صوت السين المهموس الاحتكاكي والتي مخرجها: "من بين طرف اللسان وفويق الثنايا"[٢] و"التي تنشأ بتضييق الممر مع استمرار خروج الهواء محدثًا ذلك الحفيف المسمى بالاحتكاك"[٣] فيعبر عن حدة الجوع وامتداده حتى يصل إلى جوف البائس الفقير.

كذلك، فإنَّ الهمزة، بشدتها وجهرها، عبرت عن شدة حالة الجوع والجفاف، "فعبَّر التركيب عن الشدة في الأثناء جفافًا وجوعًا "[٤].

فالأصوات في لفظة (البائس) قد عكست دلالية اجتماعية، فهي لا تكتفي بتصوير حالته الفردية، بل تكشف عن واقع اجتماعي، حيث يُظهر الجوع والحرمان الحاجة الماسة إلى التضامن والتكافل داخل المجتمع.

ب-الدلالة الصرفية في الآية:

أ- دلالة التعبير بالفعلين المضارعين(يشهدوا، يذكروا):

أتى التعبير القرآني بصيغة المضارعة في الفعلين (يشهدوا، يذكروا) ليفيد التجدد والحدوث، فشهود المنافع وذكر اسم الله على الهدي يكون متجددًا كل عام في أيام محددة، وفي ذلك إشارة إلى أن الغرض الأصلي في أي عبادة يُتقرب بها

(١) المختصر في أصوات اللغة العربية، محمد حسن جبل ص ١٣٤، مكتبة الآداب، ط٤، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٢) الكتاب لسيبويه ج٤ ص٤٣٣.

(٣) علم الصوتيات، عبدالعزيز علام، عبدالله ربيع ص ٢٦٦.

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل ج١ ص(١١٦- ١١٧).

إلى الله هو ذكر اسمه تعالى، يقول الإمام الرازي :"كَنَّى عَنِ الذَّبْحِ وَالنَّحْرِ بِذِكْرِ اسْمِ اللَّه تَعَالَى؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ لَا يَنْفَكُّونَ عَنْ ذِكْرِ اسْمِهِ إِذَا نَحَرُوا وَذَبَحُوا، وَفِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ الْغَرَضَ الْأَصْلِيَّ فِيمَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّه تَعَالَى أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللَّه تَعَالَى"(١).

وقد عكست هذه الدلالة الصرفية دلالة اجتماعية أسهمت في إظهار الأثر الاجتماعي والديني المتجدد لهذه الأفعال، وأبرزت البعد الجماعي والروحي لعبادة الحج.

٢- دلالة التنكير في(منافع):

جاءت كلمة (منافع) هنا نكرة للتعميم والتكثير والتعظيم؛ لأنها شاملة لأمور الدين والدنيا، يقول الإمام الرازي:"إِنَّمَا نَكَّرَ الْمَنَافِعَ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ مَنَافِعَ مُخْتَصَّةً بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ دِينِيَّةً وَدُنْيَوِيَّةً لَا تُوجَدُ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ"(٢)، والتعبير بالنكرة يدل على: "أنها منافع عظيمة، لَا يُقدَّر قدرها ولا تُدَّرك نهايتها للناس"(٣)، وليس من الممكن تحديدها لكثرتها.

ومن مظاهر منافعهم الدينية: غفران ذنوبهم، وإجابة دعائهم، ورضا الله- تعالى- عنهم، ومن مظاهر منافعهم الدنيوية: اجتماعهم في هذا المكان الطاهر، وتعارفهم وتعاونهم على البر والتقوى، وتبادلهم المنافع فيما بينهم عن طريق البيع والشراء وغير ذلك من أنواع المعاملات التي أحلها الله- تعالى-(٤).

---

(١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) ج٢٣ ص ٢٢١، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.

(٢) تفسير الرازي ج٢٣ ص٢٢١.

(٣) زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ) ج٩ ص ٤٩٧٣، دار الفكر العربي.

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ج٩ ص ٣٠٣- دار نهضة مصر، ط١.

ومن هنا يتجلى البعد الاجتماعي العميق في هذا التنكير، إذ تشمل المنافع اجتماع المسلمين من شتى بقاع الأرض في مكان واحد، وتعارفهم وتعاونهم، وتبادلهم الخبرات والمصالح في جو من الإيمان والوحدة.

٣-دلالة صيغة اسم الفاعل(البائس):

استخدمت صيغة (اسم الفاعل) لما في اسم الفاعل من الدلالة على الحدوث، وسمي بائسا؛ "لظهور أثر البؤس عليه بمد يده للمسألة"[١].

وقد عكست هذه الدلالة الصرفية دلالات اجتماعية تتمثل في صرف الأذهان إلى أن البائس قد بلغ من الفقر والعوز والاحتياج مبلغًا، مما يستلزم مؤازرته ومعاونته بإطعامه تحقيقًا لمبدأ التكافل الاجتماعي، يقول ابن عاشور: "وَإِنَّمَا ذُكِرَ الْبَائِسُ مَعَ أَنَّ الْفَقِيرَ مُغْنٍ عَنْهُ لِتَرْقِيقِ أَفْئِدَةِ النَّاسِ عَلَى الْفَقِيرِ بِتَذْكِيرِهِمْ أَنَّهُ فِي بُؤْسٍ؛ لِأَنَّ وَصْفَ فَقِيرٍ لِشُيُوعِ تَدَاوُلِهِ عَلَى الْأَلْسُنِ صَارَ كَاللَّقَبِ غَيْرَ مُشْعِرٍ بِمَعْنَى الْحَاجَةِ وَقَدْ حَصَلَ مِنْ ذِكْرِ الْوَصْفَيْنِ التَّأْكِيدُ[٢].

وهذا فيه من التكافل ودعوة المجتمع المسلم إلى أن يرحم بعضهم بعضاً، وأن ينظر المؤمن إلى أخيه المؤمن بعين المودة والرحمة، ويرى ما يحتاج إليه.

٤- دلالة الصفة المشبهة باسم الفاعل (فقير):

كلمة فقير على وزن (فعيل)، وهي صفة مشبهة باسم الفاعل، وتدل هذه الصفة في أصلها على الثبوت والدوام، وهي هنا تدل على من لازمه الفقر واستقرت فيه صفته، ففيها دلالة على "الحاجة"[٣]، والذِلهِ وَالمَسْكَنَهِ[٤]، وقد جاء

(١) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، تح: محمد إبراهيم سليم، ص٩٠، دار العلم والثقافة .

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) ج١٧ ص ٢٤٨، الدار التونسية، (١٩٨٤ هـ).

(٣) العين (ف ق ر) ج٥ ص ١٥٠.

(٤) مقاييس اللغة (ف ق ر) ج٤ ص ٤٤٣.

في المعاجم: "الْفَقِيرُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ يُقَالَ فَقِرَ يَفْقَرُ مِنْ بَابِ تَعِبَ إِذَا قَلَّ مَالُه"(١)، وأصل الْفَقِير"المكسور الفَقار، يُضرب مثلا لكلِّ ضَعِيف لَا ينفُذُ فِي الْأُمُور"(٢).

فاستخدام لفظ (الفقير) في السياق القرآني لا يدل فقط على افتقاد المال، بل يتضمن أبعادًا إنسانية واجتماعية أعمق، ترتبط بحاجة الفقير إلى العون والرحمة.

٥-الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾

يقول ابن عاشور:"وَقَدْ عَدَلَ عَنِ الْغَيْبَةِ الْوَاقِعَةِ فِي ضَمَائِرِ لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ، إِلَى الْخِطَابِ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: فَكُلُوا مِنْها وَأَطْعِمُوا الْبائِسَ إِلَخْ. عَلَى طَرِيقَةِ الِالْتِفَاتِ أَوْ عَلَى تَقْدِيرِ قَوْلٍ مَحْذُوفٍ مَأْمُورٍ بِهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِي حِكَايَةِ هَذَا تَعْرِيضٌ بِالرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ إِذْ كَانُوا يَمْنَعُونَ الْأَكْلَ مِنَ الْهَدَايَا"(٣).

فالالتفات هنا يحمل دلالة اجتماعية واضحة، تتمثل في مواساة الفقراء ومشاركتهم في الأكل؛ وذلك لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من ذبائحهم تعاليًا وتكبرًا على الفقراء، فجاء هذا الالتفات إعراضًا عمَّا كان عليه أهل الجاهلية، حيث أمر الله عز وجل المسلمين بالأكل من ذبائحهم مخالفة للكفار، ومواساة للفقراء، ومن باب التواضع ومجانبة الكبر.

---

(١) المصباح المنير (ف ق ر) ج٢ ص٤٧٨.

(٢) تهذيب اللغة (ف ق ر) ج٩ ص ١٠٣.

(٣) التحرير والتنوير ج١٧ ص ٢٤٧.

ج-الدلالة التركيبية في الآية:-

*** في قوله تعالى:** ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾:

جاء هذا التركيب الخبري ليبين عاقبة إستجابة الناس لنداء سيدنا إبراهيم -عليه السلام- إلى حج بيت الله الحرام، مستخدمًا لام العاقبة[١] التي توضح ما تؤول إليه الأمور وتبين نتيجتها:" أي لتكون عاقبة ذلك السفر الطويل أن يشهدوا منافع لهم، ويذكروا الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام"[٢].

وفي تعبير القرآن الكريم بلفظ(ليشهدوا) أثر بالغ في نفس السامع،" فَكَنَى بِشُهُودِ الْمَنَافِعِ عَنْ نَيْلِهَا، وَلَا يُعْرَفُ مَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ بِالتَّعْيِينِ"[٣]، "إذ إن أصل الشهود يَدُلُّ عَلَى حُضُورٍ وَعِلْمٍ وَإِعْلَام"[٤]، فشهود المنافع لا يعني فقط مجرد الحضور، بل يُعبر أيضًا عن الوعي والمشاركة والتفاعل، في مشهد جماعي تتجلى فيه وحدة الأمة وتكاملها.

*** قوله تعالى:**﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾:

أسلوب إنشائي الغرض منه إرشاد المؤمنين إلى كيفية التصرف في الذبيحة بعد ذبحها، فبدأ التركيب بالفاء الفصيحة[٥] في قوله تعالى" فكلوا"؛ "لأنها أفصحت

---

(١) لام العاقبةِ، هي "اللام الجارَّة التي يكونُ ما بعدها عاقبة لما قبلها ونتيجة له، لا علةً في حصوله، وسبباً في الإقدام عليه، كما في لام كِي. وتسمى لام الصيرورة، ولامَ المآل، ولام النتيجة أيضاً"، نحو "فالتقطَه آلُ فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً". ينظر: جامع الدروس =العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت ١٣٦٤هـ) ج٢ ص١٧٤،المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط٢٨، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.

(٢) زهرة التفاسير ج٩ ص ٤٩٧٢.

(٣) التحرير والتنوير ج١٧ص ٢٤٥-٢٤.

(٤) مقاييس اللغة (ش هـ د) ج٣ص ٢٢١.

(٥) الفاء الفصيحة هى: الدالة على محذوف قبلها، هو سبب لما بعدها. سميت فصيحة؛ لإفصاحها عما قبلها. وقيل: لأنها تدل على فصاحة المتكلم بها، فوصفت بالفصاحة على الإسناد المجازى،=

عن جواب شرط مقدر تقديره :إذا عرفتم أنكم تذكرون اسم الله عليها، وعرفتم بيان ما تفعلون بها بعد فأقول لكم كلوا منها "[١].

والأمر في قوله " فكلوا" خرج عن حقيقته إلى معنى الإباحة والندب، لكنه على حقيقته في قوله "وأطعموا"، يقول الزمخشري:" الأمر بالأكل منها أمر إباحة؛ لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم، ويجوز أن يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع"[٢]، ويقول الرازي:" وأما الأمر بالإطعام فَلَا شُبْهَةَ فِي أَنَّهُ أَمْرُ إِيجَابٍ"[٣].

ويبدو أن معنى الندب هو المقصود من الأمر في قوله تعالى" فكلوا" بدلالة السياق الخارجي المتمثل في حال أهل الجاهلية عند الذبح للفقراء، ففي هذا الفعل من المشاركة والود ما لا يخفى على أحد.

فالإطعام في الآية الكريمة لا يقتصر على كونه إطعامًا ماديًا، بل هو بناء اجتماعي متكامل، يهدف إلى إقامة مجتمع متراحم ومتكافل، ومن هنا تتجلى الدلالة الاجتماعية بين فعل الأمر(وأطعموا) وقوله (ليشهدوا منافع لهم)، حيث يتضح أن منافع الحج ليست روحية فقط، بل تشمل أيضًا أبعادًا اجتماعية واقتصادية، تتحق من خلال أفعال مثل الإطعام الذي يسهم في تأسيس مجتمع متراحم يُعلي من قيمة العطاء وروح التعاون.

=ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت٧٧٣ هـ) تح: عبد الحميد هنداوي ج١ص٥٩٧، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م .

(١) تفسير حدائق الروح والريحان ج١٨ص ٣٣٢.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ) ج٣ ص ١٥٣, دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.

(٣) ينظر: تفسير الرازي ج٢٣ ص ٢٢١.

ومن أجمل ما قيل في هذا المعنى قول الشعراوي:"كلوا من الصدقة والتطوع، وأطعموا كذلك البائس والفقير، ومن رحمة الله بالفقراء أنْ جعل الأغنياء والمياسير هم الذين يبحثون عن الذبائح ويشترونها ويذهبون لمكان الذبح ويتحمَّلون مشقة هذا كله، ثم يبحثون عن الفقير ليعطوه وهو جالس في مكانه مستريحاً، يأتيه رِزْقه من فَضْل الله سهلاً وميسّراً.

لذلك يقولون: من شرف الفقير أنْ جعله الله ركناً من أركان إسلام الغنيّ، أي: في فريضة الزكاة، ولم يجعل الغني ركناً من أركان إسلام الفقير"[١].

تعقيب:

تتكامل الدلالات (الصوتية – والصرفية– والتركيبية) للكشف عن المعاني الاجتماعية في الآية الكريمة، وقد ألقت بظلالها على النص القرآنيّ، فبينت ما فيه من دلالات اجتماعية لها عظيم الأثر على المجتمع عامة، وعلى النفس البشرية خاصة[٢].

فمن الناحية الصوتية، أسهمت بعض الألفاظ في تعميق الأثر الاجتماعي مثل (أطعموا) بصوت الطاء الشديد الذي يُوحي بالحزم في أداء الإطعام، ومن الناحية الصرفية جاء لفظ (منافع) نكرة جمعًا؛ ليفيد العموم والشمول، فيدل على تعدد أوجه النفع الديني والدنيوي، مما يُعزز البعد الاجتماعي للحج، أمّا الناحية التركيبية فقد جاء أسلوبا الأمر في (كلوا، وأطعموا) بصيغة مباشرة، ليجمعا بين الإذن بالإنتفاع الشخصي، والتكليف بالعطاء للآخرين، مما يُرسخ مبدأ التكافل، ويعكس مقصود الآية في الجمع بين الفرد والمجتمع ضمن شعيرة الحج.

---

(١) تفسير الشعراوي (الخواطر)، محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ)ج١٦ص ٩٧٩٢، مطابع أخبار اليوم، نشر عام ١٩٩٧ م.

(٢) بالاستئناس في ذلك بما ذكرته أ. د/ سوسن الهدهد في بحثها (من قصص النساء في القرآن دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي) مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد(١٦١ الجزء الثاني) ديسمبر ٢٠١٤: ص ٧٥٧.

وقد انعكست هذه الدلالات في أثر اجتماعي بالغ؛ إذ يجتمع أفراد الأمة الإسلامية كل عام في زمان واحد، ومكان واحد؛ لينتفعوا بشتى وجوه الانتفاع الروحي، والرياضي، والاجتماعي، والتعارفي، وهي غاية من غايات الحج، ولأهمية هذه الغاية قدمها الله تعالى على ذكره في هذه الآية.

ومن هذه الآثار أيضًا إظهار المودة والرحمة بين المسلمين وبعضهم البعض، وذلك بإطعام الفقراء والمساكين حفاظًا على حياتهم، وصيانة لكرامتهم، وفي ذلك تزكيةً للنفس البشرية وتطهيرًا لها من آفة البخل والشح.

وتظهر علاقة إطعام الفقراء بفريضة الحج في حاجة الناس إلى الزاد الذي به قوام النفوس، وفي هذا السياق يأمر الله تعالى الحجاج أن يُخرِجوا من أموالهم ما يُطعمون به الفقراء من النسك الذي يذبحونه تقرباً إلى الله تعالى.

الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الحج:٣٦).

أولا: معنى الآية الكريمة:

في هذه الآية الكريمة يمتنُّ الله تعالى على عباده أن يسّر لهم الإبل يتقربون بها بالإهداء إلى البيت الحرام، أي: "وشرعنا لكم- أيها المؤمنون- التقرب إلينا بالإبل البدينة السمينة وجعلنا ذلك شعيرة من شعائر ديننا، وعلامة من العلامات الدالة على قوة إيمان من ينفذ هذه الشعيرة بتواضع وإخلاص"(١)، وخصَّ الله تعالى الإبل؛ "لأنها أعظمها خلقًا، وأكثرها نفعًا، وأنفسها قيمة"(٢).

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ج٩ ص ٣١٢.

(٢) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ) ج١٧ص ١١٤، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر، ط١، (١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م) .

ثانيًا: مناسبة الآية الكريمة للمقصد العام للسورة :

سبق أن ذكرنا في الآية السابقة أنَّ مقصود سورة الحج هو الحثُّ على تقوى الله–عز وجلّ– فناسب هذا المقصد الآية الكريمة؛ لأنَّ" الغاية من ذبح الأنعام ليس إيصال لحومها ودمائها إلى الله، فللهِ الدنيا والآخرة، والله غنيٌّ عن العالمين، وإنما الغاية تحقيق التقوى والإخلاص، وأداء الأعمال الصالحة، وهذا الغرض التهذيبي يعود نفعه في مدى الحياة على الإنسان ذاته، فبصلاحه يصلح له قلبه وصحته، وجسده وسائر حواسه"(١).

ثالثًا: الدراسة التحليلية للآية الكريمة:

أ–الدلالة الصوتية في الآية:

***(وَجَبَتْ):**

جاء في المقاييس عن أصل المادة :"الْوَاوُ وَالْجِيمُ وَالْبَاءُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى سُقُوطِ الشَّيْءِ وَوُقُوعِهِ"(٢)، وفي المحكم يقول ابن سيده: "وَوَجَب وَجْبة: سقط إِلَى الأَرْض، لَيست الفعلة فِيهِ للمرة الْوَاحِدَة، إِنَّمَا هُوَ مصدر كالوجوب"(٣).

فقوله تعالى: (فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا) "يُرِيدُ إِذَا سَقَطَتْ عَلَى جُنُوبِهَا مَيِّتَةً، كَنَّى عَنِ الْمَوْتِ بِالسُّقُوطِ عَلَى الْجَنْبِ"(٤).

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ج ٢ ص١٦٤٨، دار الفكر – دمشق، ط١، (١٤٢٢هـ).

(٢) مقاييس اللغة (و ج ب) ج٦ ص ٨٩.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، (و ج ب) ج٧ ص ٥٧٠ (دار الكتب العلمية – بيروت)، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

(٤) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(ت ٦٧١ هـ)، تح: هشام سمير البخاري، ج١٢ص ٦٣، دار عالم الكتب–الرياض–المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٣ م.

وقد جاءت حروف الكلمة بمخارجها وصفاتها بما يحاكي مشهد سقوط الذبيحة بعد النحر، فبدأت الكلمة بصوت (الواو)الذي "تضم لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج، ليخرج فيه النفس"(١)، مما يعكس الاشتمال والاحتواء، كما أن احتكاك الواو واهتزازها يناسب اضطراب الذبيحة قبل سقوطها، إذ يُوحي بحركتها الأخيرة وحالتها قبل الاستقرار.

ثم جاء صوتا الجيم والباء، وهما من الصوامت الشديدة المغلقة التي:" يغلق الممر في إنتاجها غلقًا محكمًا بحيث لا يسمح للهواء بالمرور، ثم يعقب لك أحيانًا فتح فُجائي أو انفجار في مرور تلك الهواء"(٢).

هذا الغلق يُحاكي حبس الذبيحة وتهيئتها للذبح، ثم الفتح الفجائي أو الانفجار يُناسب سقوطها القوي المفاجئ بعد النحر، خاصة وأنها تُنحر قائمة.

ومن هذه الدلالة الصوتية تنبع دلالة اجتماعية هامّة، إذ يُوحي التعبير بقوة الأصوات بسرعة وقوع الحدث، مما يلفت النظر إلى ضرورة المبادرة السريعة بالانتفاع بالذبيحة، وعدم التباطؤ بإطعام الفقراء والمساكين، وإدخال السرور عليهم في هذا اليوم المبارك، فكما كان السقوط قويًا وسريعًا، ينبغي أن يكون الإطعام كذلك، مما يعزز قيم التراحم والتكافل الاجتماعي، يقول الرازي: "وَمَعْنَى وَجَبَتْ سَقَطَتْ، أَيْ إِلَى الأَرْضِ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ زَوَالِ الرُّوحِ الَّتِي بِهَا الِاسْتِقْلَالُ، وَالْقَصْدُ مِنْ هَذَا التَّوْقِيتِ الْمُبَادَرَةُ بِالِانْتِفَاعِ بِهَا إِسْرَاعًا إِلَى الْخَيْرِ الْحَاصِلِ مِنْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا بِإِطْعَامِ الْفُقَرَاءِ وَأَكْلِ أَصْحَابِهَا مِنْهَا فَإِنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ فُطُورُ الْحَاجِّ يَوْمَ النَّحْرِ مِنْ هَدْيِهِ، وَكَذَلِكَ الْخَيْرُ الْحَاصِلُ مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ"(٣).

(١) سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تح: حسن هنداوي، ج١ص ٨، دار القلم – دمشق، ط١، ١٩٨٥م.

(٢) علم الصوتيات ص ١٩٠.

(٣)التحرير والتنوير ج١٧ص٢٦٤.

*** الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ:**

اختلف العلماء في المقصود بـ(القانع): "فَقَالَ عِكْرِمَةُ وَإِبْرَاهِيمُ وَقَتَادَةُ: "الْقَانِعُ" الْجَالِسُ فِي بَيْتِهِ الْمُتَعَفِّفُ يَقْنَعُ بِمَا يُعْطَى وَلَا يَسْأَلُ، وَ"الْمُعْتَرُّ" الَّذِي يَسْأَلُ، وَرَوَى الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "الْقَانِعُ" الَّذِي لَا يَعْتَرِضُ وَلَا يَسْأَلُ، وَ"الْمُعْتَرُّ" الَّذِي يُرِيكَ نَفْسَهُ وَيَتَعَرَّضُ وَلَا يَسْأَلُ، فَعَلَى هَذَيْنَ التَّأْوِيلَيْنِ يَكُونُ "الْقَانِعُ": مِنَ الْقَنَاعَةِ، يُقَالُ: قَنِعَ قَنَاعَةً إِذَا رَضِيَ بِمَا قُسِمَ لَهُ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالْحَسَنُ وَالْكَلْبِيُّ: "الْقَانِعُ": الَّذِي يَسْأَلُ، "وَالْمُعْتَرُّ": الَّذِي يَتَعَرَّضُ وَلا يَسْأَلُ، فَيَكُونُ "الْقَانِعُ" مِنْ قَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعًا إِذَا سَأَلَ، وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "وَالْمُعْتَرِي"[1] وَهُوَ مِثْلُ الْمُعْتَرِّ، يُقَالُ: عَرَّهُ وَاعْتَرَّهُ وَعَرَّاهُ وَاعْتَرَاهُ إِذَا أَتَاهُ يَطْلُبُ مَعْرُوفَهُ، إِمَّا سُؤَالا أَوْ تَعَرُّضًا، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: "الْقَانِعُ": الْمِسْكِينُ، "وَالْمُعْتَرُّ": الَّذِي لَيْسَ بِمِسْكِينٍ، وَلَا يَكُونُ لَهُ ذَبِيحَةٌ يَجِيءُ إِلَى الْقَوْمِ فَيَتَعَرَّضُ لَهُمْ لأَجْلِ لَحْمِهِمْ"[2].

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ وَالْأَقْرَبُ أَنَّ الْقَانِعَ هُوَ الرَّاضِي بِمَا يُدْفَعُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ وَإِلْحَاحٍ، وَالْمُعْتَرُّ هُوَ الَّذِي يَتَعَرَّضُ وَيَطْلُبُ وَيَعْتَرِيهِمْ حَالًا بَعْدَ حَالٍ فَيَفْعَلُ مَا يدل على أَنَّهُ لَا يَقْنَعُ بِمَا يُدْفَعُ إِلَيْهِ أَبَدًا"[3].

ويؤيد قول أبي عبيد "قراءة أبي رجاء:(القنِعَ)"[4]، يقول أبو السعود:" (الْقَانِعَ) الرَّاضيَ بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده أنه قرئ القنع

(١) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه: ص٩٥، المطبعة الرحمانية – مصر، ط١٩٣٤ .

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، تح/ محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش:ج٥ ص٣٨٧، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م).

(٣) تفسير الررازي ج٢٣ص ٢٢٦-٢٢٧ .

(٤) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) تح: علي النجدي ناصف، ج٢ ص ٨٢ (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة،١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

..."[١]، فتبرز هذه القراءة أنَّ القانع هو الراضي بما يأتيه دون سؤال أو تذمر؛ وذلك لأن القِنع مأخوذ من القناعة، وهي الرضا بما أُعطى الإنسان دون تطلع إلى الآخرين.

وبالرجوع إلى بعض المعاجم العربية نجد كثيرًا من علماء اللغة قد أشاروا إلى المعنيين–القانع بمعنى الراضي المتعفف عن السؤال، أو بمعنى السائل– ففي العين، يقول الخليل:" قَنِعَ يَقْنعُ قَناعةً: أي رَضيَ بالقَسمِ فهو قَنِعٌ وهم قَنِعُونَ، وقوله تعالى:الْقانِعَ وَالْمُعْتَرَّ، فالقانِع: السائل، والمُعْتَرُّ: المُعْتَرض له من غير طلب"[٢].

وقال بعض أهل العلم: "إنَّ القُنوعَ قد يكون بمعنى الرضا، والقانِعُ بمعنى الراضي، وهو من الأضداد[٣]... وفي المثل: "خيرُ الغِنى القُنوعُ، وشرُّ الفقرِ الخُضوعُ "، قال: ويجوز أن يكون السائل سمِّي قانِعاً لأنَّه يرضى بما يعطى قلَّ أو كثر، ويقبله ولا يردُّه، فيكون معنى الكلمتين راجعاً إلى الرضا"[٤].

وبالنظر إلى كلمة (القانع) أجدها بمخارجها وصفاتها تلائم معنى الراضي الجالس في بيه متعففا لا يسأل، حيث بدأت الكلمة بصوت القاف (القاف) وهو صوت شديد مستعل يخرج من" أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى"[٥]، وهو صوت يتصف بالغلق والإحكام، وهذه الصفات الصوتية تُوحي بحال القانع الذي

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ) ج٦ص ١٠٧، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) العين (ق ن ع) ج١ ص ١٧٠.

(٣) ينظر: الأضداد، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: ص ٦٦، (المكتبة العصرية، بيروت – لبنان)، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

(٤) الصحاح: (ق ن ع) ج٣ ص١٢٧٣، دار العلم للملايين– بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧ م.

(٥) الكتاب لسيبويه ج٤ ص ٤٣٣.

أحكم نفسه داخل بيته، مغلقًا على حاجته، لا يُظهر فاقته ولا يمد يده للناس، كما أنَّ شدة القاف واستعلاءها يجسدان علو نفسه وتعففه، ثم يأتي صوت (النون) الذي يخرج من"طرف اللسان"(١)، وهو صوت مجهور متوسط يجمع بين الانسياب والخفوت، وكأنه يُحاكي القانع في خفائه عن الناس، حيث لا يُظهر حاجته، بل يتوارى عن السؤال، حتى لا يُعرف فقره إلا لمن يتقصى أمره ويتحسس حاله، أما (العين)، فهي صوت حلقي رخو يتصف بالبينية، والانفتاح، والاستفال، وهذه الصفات تمنحه رقة وانسيابية، فتعبر عن لين القانع عند قبول العطاء، ورضاه بما يُعطى، استحياءً وتعففًا.

وهكذا عكست الدلالة الصوتية دلالة اجتماعية هامة تتمثل في تنبيه المجتمع إلى حق القانع في العطاء؛ لأنه لا يُظهر حاجته بنفسه، بل ينتظر من المجتمع أن يتفقده ويعطيه من غير طلب.

أما أصل لفظ(المُعْتَرّ) فإنه يرجع إلى الجرب أو اللطخ والعيب، يقول الخليل:"العَرُّ والعُرُّ والعُرَّة: الجَرَب، ...والعُرَّةُ اللَّطخ والعيبُ، تقولُ: أصابتني من فُلانٍ عُرَّةٌ، وإنَّهُ لَيَعرُّ قَوْمَه: إذا أَدْخَلَ عليهم مَكروها"(٢)، وَالْمُعْتَرُّ الْمُتَعَرِّضُ لِلسُّؤَالِ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ يُقَالُ عَرَّهُ وَاعْتَرَّهُ وَعَرَاهُ أَيْضًا وَاعْتَرَاهُ إِذَا اعْتَرَضَ لِلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَة "(٣).

والمعنى اللغوي متوافق مع ما ذكره علماء التفسير؛ لأن الإنسان المُعْتَرّ قد تعرَّض للسؤال دون أن يُصرِح به، بمعنى أنَّ هيئته ولباسه يدلان على فقره وحاجته مما يُشير إلى شيء من العيب أو الجرب.

(١) الكتاب لسيبويه ج٤ ص ٤٣٣.
(٢) العين (ع ر) ج١ ص ٨٥.
(٣) المصباح المنير (ع ر ر) ج٢ ص٤٠١.

وقد اشتملت هذه اللفظة القرآنية على ثلاثة أصوات مجهورة هي: (العين والتاء والراء)، وهي أصوات تتصف بالجهر والوضوح، هذا الجهر يُحاكي حال السائل الذي لا يُخفي فقره، بل يبدو على ملامحه وتصرفاته، جاء في زهرة التفاسير:" الْمعْتَرّ "افتعل من عَرَّ، وهو الذي يكشف فقره ولا يستره، ويطلب من الناس، ولا يمتنع عن السؤال"(١).

وقد زاد المعنى وضوحا التكرار الملازم لصوت (الراء) وما فيه من تضعيف إذ يحمل تكرارًا صوتيًا يُوحي بتكرار فعل السائل، فهو لا يطلب مرة واحدة، بل يُعاود الظهور والسؤال حالًا بعد حال، وهو ما يتماشى مع المعنى الذي ذكره الرازي، بقوله: "وَالْمُعْتَرُّ هُوَ الَّذِي يَتَعَرَّضُ وَيَطْلُبُ وَيَعْتَرِيهِمْ حَالًا بَعْدَ حَالٍ فَيَفْعَلُ مَا يدل على أَنَّهُ لَا يَقْنَعُ بِمَا يُدْفَعُ إِلَيْهِ أَبَدًا"(٢).

وقد عكست الدلالة الصوتية دلالة اجتماعية تتمثل في أنَّ كشف حال المحتاج وظهور فاقته يستدعي استجابة فورية من المجتمع دون انتظار السؤال الصريح، مما يعزز قيم الرحمة والتكافل.

ب-الدلالة الصرفية في الآية:

***دلالة التعبير باسم الفاعل (القانع):**

آثر التعبير القرآني استخدام صيغة اسم الفاعل (القانِع) دون غيرها، واسم الفاعل في أصله يدل على الحدوث والتجدد، إذ يُشتق "من قنع الثلاثيّ أي الذي رضِيَ بالقليل وبما يعطى"(٣)، غير أنَّ السياق القرآني نقله من دلالته الأصلية إلى

(١) زهرة التفاسير ج٩ص٤٩٨٨ .

(٢) تفسير الرازي ج ٢٣ ص ٢٢٦.

(٣) الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت١٣٧٦هـ)، ج١٧/ ص ١١٦، دار الرشيد، دمشق.

دلالة الثبوت والاستقرار، فالقانع هو الذي تخلق بالرضا، واستقرت هذه الصفة فيه حتى صار ملازمًا لها.

وهذه الدلالة الصرفية تُضفي بُعدًا اجتماعيًا مهمًا، إذ تُوجه الخطاب إلى المجتمع المسلم بوجوب مراعاة أصحاب الحاجات المستترة، وعدم الاقتصار على إطعام السائل فقط .

*** دلالة التعبير باسم الفاعل(المعترّ):**

آثر التعبير القرآني استخدام صيغة اسم الفاعل(المعترّ)[١] واسم الفاعل في أصله يدل على الحدوث والتجدد، غير أن السياق القرآني نقل هذه الدلالة من الحدوث إلى الثبوت، إشعارًا بأنَّ تعرضه للعطاء دون سؤال هي صفة ملازمة له، يقول ابن فارس:"كَأَنَّهُ إِنْسَانٌ يُلَازُّ وَيُلَازِم"[٢] أي يلازم المسؤول حَتَّى يُعْطِيهِ، ويقول الرازي:"وَالْمُعْتَرُّ هُوَ الَّذِي يَتَعَرَّضُ وَيَطْلُبُ وَيَعْتَرِيهِمْ حَالًا بَعْدَ حَالٍ فَيَفْعَلُ مَا يدل على أَنَّهُ لَا يَقْنَعُ بِمَا يُدْفَعُ إِلَيْهِ أَبَدًا"[٣].

والسياق القرآني عند حديثه عن ذبح الأنعام وتوزيع لحومها، يبرز أهمية الالتفات إلى مثل هؤلاء الذين يتعرضون طلبًا للعطاء، وإن لم يُفصحوا بالسؤال الصريح، مما يعزز قيم الرحمة والرعاية الاجتماعية.

*** دلالة التعبير بصيغة الجمع (صوافّ)**

جاء التعبير بكلمة (صوافّ) بصيغة اسم الجمع واسم فاعل؛ للدلالة على الكثرة والتنظيم معًا فالبُدْنُ الصَّوافُّ "التي تُصَفَّفُ ثم تُنْحَر"[٤]، يقول الرازي:"وَلَا

(١) (المعترّ)، اسم فاعل من اعترّ الخماسيّ أي اعترض من غير سؤال، وزنه مفتعل بضمّ الميم وكسر العين، ولم يظهر الكسر عليها لمناسبة التضعيف– والصيغة اسم مفعول –أيضا–.ينظر: الجدول في إعراب القرآن ج١٧ ص ١١٦.

(٢) مقاييس اللغة (ع ر ر) ج٤ ص ٣٤.

(٣) تفسير الرازي ج٢٣ ص ٢٢٦–٢٢٧.

(٤) العين (ص ف ف) ج ٧ ص ٨٨.

يَبْعُدُ أَنْ تَكُونَ الْحِكْمَةُ فِي إِصْفَافِهَا ظُهُورَ كَثْرَتِهَا لِلنَّاظِرِينَ فَتَقْوَى نُفُوسُ الْمُحْتَاجِينَ وَيَكُونُ التَّقَرُّبُ بِنَحْرِهَا عِنْدَ ذَلِكَ أَعْظَمَ أَجْرًا وَأَقْرَبَ إِلَى ظُهُورِ التَّكْبِيرِ وَإِعْلَاءِ اسْمِ اللَّه وَشَعَائِرِ دِينِهِ"(١)، وهذه الصيغة تحمل بُعْدًا اجتماعيًا، إذ إن كثرة الأنعام وتصفيفها علنًا يُظهر نعمة الله ويبث الطمأنينة في نفوس المحتاجين، ويُعلي اسم الله ويُعظم شعائر دينه.

ج-الدلالة التركيبية في الآية:

***الوحدة التركيبية:** ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ ﴾

بدأ التركيب بـ"الفاء الفصيحة"، أي: "إذا عرفتم أن البدن من شعائر الله، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم ... فأقول لكم: اذكروا اسم الله"(٢).

ثم جاء فعل الأمر (اذكروا) بصيغته الصريحة (افعل) وأسند إلى المورفيم الدال على الجمع (واوا الجماعة)، وذكر متعلقه وهو(عَلَيْهَا).

و"ذكر اسم الله على بهيمة الأنعام لا تختصّ به أنعام الهَدْيَ وحدها، بل هو أمر واجب فى كل ما يذبح من حيوان للأكل، سواء ما كان منه هَدْيا أو غير هَدْي، وأنه لا يحلّ أكل حيوان ذبح من غير أن يذكر اسم الله عليه"(٣).

والأمر في هذه الأية:"هو توكيد للأمر العام بذكر الله على ما يُذبح، وأن ذكر الله هنا ينشىء شعورا خاصا بأنَّ هذه الأضاحي ليست ملكًا خاصًا لأصحابها، وإنَّما هى قسمة بينهم وبين الفقراء"(٤).

فدلالة صيغة الأمر في هذه الآية نبهت إلى أنَّ هذه الذبائح قربان لله تعالى وشعيرة من شعائره، فهي ليست لمجرد الأكل، وإنما للبّر والإحسان إلى الفقراء.

---

(١) تفسير الرازي ج٢٣ ص ٢٢٦.

(٢) تفسير حدائق الروح ج١٨ ص ٣٣٧.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، ج٩ ص ١٠٢٠.

(٤) التفسير القرآني للقرآن، ج٩ ص ١٠٢١.

ولا يخفى من انتصاب صوافّ على الحال من فائدة أضفت على المعنى جمالا، يقول ابن عاشور :"وَانْتَصَبَ صَوافَّ عَلَى الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ الْمَجْرُورِ فِي قَوْلِهِ عَلَيْها، وَفَائِدَةُ هَذِهِ الْحَالِ ذِكْرُ مَحَاسِنَ مِنْ مَشَاهِدِ الْبُدْنِ فَإِنَّ إِيقَافَ النَّاسِ بُدْنَهُمْ لِلنَّحْرِ مُجْتَمِعَةً وَمُنْتَظِمَةً غَيْرَ مُتَفَرِّقَةٍ مِمَّا يَزِيدُ هَيْئَتَهَا جَلَالًا"(١).

ومن هنا يتضح أن للدلالة الاجتماعية دورٌ في إبراز المعنى الاجتماعي الذي يتمثل في تعزيز التكافل، وإظهار الوحدة، وإبراز شعور المشاركة الاجتماعية في العبادات، وكل ذلك يُوضحه (الفاء الفصيحة، فعل الأمر، والإسناد إلى الجماعة).

***الوحدة التركيبية:** ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ﴾:

الفاء في قوله تعالى:"فَإِذَا وَجَبَتْ" "حرف عطف وظرف شرطي"(٢)، وهي أيضًا الفاء الفصيحة؛" لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم أنكم تذكرون اسم الله عليها، عند الذبح، وأردتم بيان ما تفعلون بها بعد الذبح"(٣)، فجملة الشرط: ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾ تفيد التوقيت والمبادرة بعد تحقق الشرط، مما يدل على المسارعة إلى الانتفاع من الذبيحة، سواء بالأكل منها أو بإطعام الفقراء، فبمجرد تحقق الذبح، يأتي الأمر بالفعلين المتتابعين: ﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ﴾ للدلالة على سرعة الامتثال والبدء في الفعل بعد تحقق الشرط.

وفي ذلك من الدلالة الاجتماعية ما فيه، حيث حثَّ التعبير القرآني على سرعة المبادرة بالانتفاع بالذبيحة فور ذبحها، والإسراع إلى إطعام الفقراء وذوي الحاجات

(١) التحرير والتنوير ج١٧ ص ٢٦٤.

(٢) إعراب القرآن الكريم، للدعاس ج٢ ص٣١١.

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج١٨ ص٣٣٨.

وإدخال السرور عليهم في هذا اليوم المبارك، يقول الرازي :"وَمَعْنَى وَجَبَتْ سَقَطَتْ، أَيْ إِلَى الْأَرْضِ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ زَوَالِ الرُّوحِ الَّتِي بِهَا الِاسْتِقْلَالُ، وَالْقَصْدُ مِنْ هَذَا التَّوْقِيتِ الْمُبَادَرَةُ بِالِانْتِفَاعِ بِهَا إِسْرَاعًا إِلَى الْخَيْرِ الْحَاصِلِ مِنْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا بِإِطْعَامِ الْفُقَرَاءِ وَأَكْلِ أَصْحَابِهَا مِنْهَا فَإِنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ فُطُورُ الْحَاجِّ يَوْمَ النَّحْرِ مِنْ هَدْيِهِ، وَكَذَلِكَ الْخَيْرُ الْحَاصِلُ مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ"(١).

ولا شك أنَّ هذا يعكس روح التعاون والتكافل الاجتماعي، حيث لا يقتصر الانتفاع بالذبيحة على صاحبها، بل يُشرك فيه الفقراء.

* **الوحدة التركيبية:** ﴿ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ ﴾:

في قوله تعالى (فَكُلُوا مِنْها) أسلوب أمر الغرض منه حث المؤمنين على حُسن اختيار الهَدْي ووجوب اختيارها مما لا تعافه النفس، وعِلَّة الأمر بالأكل من الهَدْي؛ أنّ أهل الجاهلية "كانوا يتأففون أنْ يأكلوا من المذبوح للفقراء"(٢).

والأمر في قوله (فَكُلُوا) يحتمل الإباحة ويحتمل الندب، أما الأمر في قوله (وَأَطْعِمُوا الْقانِعَ وَالْمُعْتَرَّ) فواجب، قال الشافعي: " الإطعام واجب، فإن أطعم جميعها أجزاه وإن أكل جميعها لم يجزه، وهذا فيما كان تطوع "(٣)، وَهُوَ الأَصَحُّ(٤).

وفي كلا الأمرين توجيهات ربانية ودلالات اجتماعية تهدف إلى التكافل والتراحم بين أفراد المجتمع، فالأمر في قوله تعالى:"فكُلُوا" يحتمل الندب أو الإباحة مما يعني أنه دعوة للأفراد لاختيار الهَدي الذي لا ترفضه النفوس بأن يكون طيبًا،

(١) التحرير والتنوير ج١٧ص٢٦٤.
(٢) تفسير الشعراوي ج١٦ ص ٩٨٢٥.
(٣)الجامع لأحكام القرآن ج١٢ص ٦٤.
(٤) ينظر: التحرير والتنوير ج١٧ ص ٢٦٥.

في حين أن الأمر في قوله تعالى:"وأطعموا" يأتي على وجه الوجوب، مما يعكس جانبًا اجتماعيًا ضروريًا، وهو ضرورة إطعام الفقراء والمحتاجين والعناية بهم .

* **الوحدة التركيبية:** ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

جاء هذا التركيب القرآني البديع تعليلًا للأمر السابق عليه: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾، فالله عز وجل قد بيَّن مظاهر فضله على عباده، حيث ذلَّل لهم هذه الأنعام، وجعلها منقادة لأمرهم، لعلهم بعد مشاهدتهم هذه النعم يكونوا من الشاكرين لها، يقول الزمخشري:"منَّ الله على عباده واستحمد إليهم بأن سخر لهم البُدن مثل التسخير الذي رأوا وعلموا، يأخذونها منقادة للأخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافَّة قوائمها، ثم يطعنون في لبانها، ولولا تسخير الله لم تطعن، ولم نكن بأعجز من بعض الوحوش التي هي أصغر منها جرما وأقل قوّة، وكفى بما يتأبد من الإبل شاهدا وعبرة"(١).

وأسلوب التعليل في الآية الكريمة يُوضح غاية الله تعالى من تسخير الأنعام للناس، وهي أن يكون الإنسان مدركًا لفضل الله عليه، فيشكره على هذه النعم، وعندما يشكر الإنسان ربه على نعمه، فإنه يُدرك في ذات الوقت أهمية مشاركة هذه النعم مع الآخرين، مما يعزز من قيم التعاون والمحبة بين أفراد المجتمع.

تعقيب:

تُظهر هذه الآية الكريمة خُلُقًا ساميًا يهدف إلى التكافل الاجتماعي وسيادة المودة والإخاء بين أفراد المجتمع الواحد، فهي تنبه المسلمين إلى التقرب إلى الله تعالى من خلال نحر الهَدْي في الحج والعمرة وذبحه ضحية في عيد الأضحى،

(١) الكشاف : ٣/ ١٥٨.

كما تدعوا المسلمين إلى الأكل منها وإطعام السائل والفقير المتعفف؛ مواساةً لهم، طلبًا للأجر والمثوبة من الله تعالى، وشكرًا لله على نعمه.

وقد بين الله عز وجل أهمية خُلُق إطعام الفقراء المتعففين، مستخدما في ذلك لغةً قويةً مؤكدة تناسب أهمية هذا الخُلُق.

فعلى مستوى الأصوات وجدنا كيف عبرت الأصوات عن المعاني المعجمية والسياقية، بما تحمله من مخارج، وما تتصف به من صفات القوة والضعف.

وعلى المستوى الصرفي، كان لصيغة اسم الفاعل دورٌ في لفت الأنظار إلى السائلين والفقراء المتعففين، حيث دل اسم الفاعل في (القانع والمعتر) على ثبوت الوصف لهما، وأشعرت بأنَّ تعرضهما للعطاء دون سؤال هي صفة ملازمة لهما، وفي ذلك صيانة للنفس البشرية وحفاظا على كرامتها.

وإذا انتقلنا إلى الوحدات التركيبية نجد أنها جاءت مدعمة بالفعلين (فكلوا منها، وأطعموا القانع والمعتر)، وهما فعلان أمر يؤثران في المتلقي، مما يزيد من من انتباهه وإصغائه، وفي كلا الأمرين توجيهات ربانية ودلالات اجتماعية تهدف إلى التكافل والتراحم بين أفراد المجتمع، وإظهار المودة والرحمة فيما بينهم.

المبحث الثاني

الحض على إطعام الطعام في المجاعات

قال تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ (البلد: ١١ – ١٦).

أولا: معنى الآيات الكريمات:

بعد أن بيَّن الله–عز وجل–في بداية السورة بعض مظاهر نعمه الجليلة التي أنعم بها على الإنسان، أتبع– سبحانه– ذلك بحضه على المداومة على فعل الخير، وعلى إصلاح نفسه، والمعنى:"لقد جعلنا للإنسان عينين ولسانًا وشفتين، وهديناه النجدين، فهلّا بعد كل هذه النّعم، فعل ما يرضينا، بأن جاهد نفسه وهواه، وبأن قدم ماله في فك الرقاب، وإطعام اليتامى والمساكين"(١).

ثانيًا: مناسبة الآيات الكريمات للمقصد العام للسورة :

ورد في مصاعد النظر للبقاعيّ؛ أنَّ مقصد سورة البلد:"نفي القدرة عن الإنسان، وإثباتها لخالقه الديان، وذلك هو معنى اسمها، فإن من تأمل أمان أهل الحرم، وما هم فيه من الرزق والخير، على قلة الرزق ببلدهم، مع ما فيه غيرهم، ممن هم أكثر منهم وأقوى، من الخوف والجوع، علم ذلك"(٢).

فلما كان مقصد السورة بيان قدرة الله تعالى وتعداد نعمه على الإنسان، ناسب هذا المقصد هذه الآيات الكريمات التي تحث الإنسان على شكر النعم، واقتحام طريق الخيرات، فيفيض على الناس ببعض ما أفاض الله عليه من النعم.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي ج١٥ ص ٤٠٤.

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ج٣ ص ١٩٣.

وأود أن أُشير هنا أيضاً إلى أنَّ مناسبة سورة (البلد) للسورة التي قبلها– سورة الفجر– مناسبة ظاهرة واضحة جدًا، فقد جاء في سورة (الفجر)، قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴾ (الفجر:١٨:٢٠)، فقد وصف الله تعالى الإنسان في سورة (الفجر) بأنه لا يُكرِم اليتيم، ولا يَحضُّ على طعام المسكين، وأوصانا في سورة (البلد) بالرحمة وحثَّنا على الإنفاق، يقول الآلوسي: " ولما ذم سبحانه فيما قبلها من أحبَّ المال وأكل التراث أكلا لمًّا ولم يحض على طعام المسكين، ذكر جلَّ وعلا فيها الخصال التي تُطلب من صاحب المال من فك الرقبة وإطعام في يوم ذي مسغبة"(١).

ثالثًا: الدراسة التحليلية للآيات :

أ–الدلالة الصوتية في الآيات:

*** العَقَبَة:**

تدور مادة (ع ق ب) حول كل شيء فيه علو وشدة ومشقة، فالعَقَبَةُ:"طَرِيقٌ في الجَبَل وَعْرٌ يُرْتَقَى بمَشقةٍ "(٢)، وفي التهذيب:"العَقَبَةُ: الْجَبَل الطَّوِيل يَعرِض للطَّرِيق فيأخُذُ فِيهِ، وَهُوَ طويلٌ صعبٌ شَدِيد"(٣).

ويقول ابن العربي: "الْعَقَبَةُ فِي اللُّغَةِ هِيَ الأَمْرُ الشَّاقُّ، وَهُوَ فِي الدُّنْيَا بِامْتِثَالِ الأَمْرِ وَالطَّاعَةِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْمُقَاسَاةِ لِلْأَهْوَالِ وَتَعْيِينُ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ لَا يُمْكِنُ إلا

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، ج١٥ص ٣٤٩ دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ .

(٢) العين (ع ق ب) ج١ ص ١٨١.

(٣) تهذيب اللغة (ع ق ب) ج١ ص ١٨٥–١٨.

بِخَبَرِ الصَّادِقِ"[1]، ولم تأت العقبة بهذا المعنى إلا في آيتي سورة البلد، وفيما عداهما تدور المادة في القرآن حول العقاب والعاقبة والعقبى والتعقيب.

والمقصود بالعقبة في هذه الآية الكريمة الأعمال الصالحة التي ستبينها الآيات فيما يأتي على طريق الاستعارة، فقد جاء في البحر المحيط:" وَالْعَقَبَةُ اسْتِعَارَةٌ لِهَذَا الْعَمَلِ الشَّاقِّ عَلَى النَّفْسِ مِنْ حَيْثُ هُوَ بَذْلُ مَالٍ، تَشْبِيهٌ بِعَقَبَةِ الْجَبَلِ، وَهُوَ مَا صَعُبَ مِنْهُ، وَكَانَ صَعُودًا، فَإِنَّهُ يَلْحَقُهُ مَشَقَّةٌ فِي سُلُوكِهَا"[2].

وفي اختيار مادة (ع ق ب) دلالة واضحة تعكس مدى صعوبة هذه الأعمال الصالحة على النفس، حيث تتكون اللفظة من ثلاثة أصوات(العين والقاف والباء) وجميعها أصوات مجهورة، يتناسب جهرها مع القوة المطلوبة لاجتياز هذه المشقات، كما أنَّ في صوت (القاف) استعلاءً يُناسب علوّ هذه الأعمال، وفي صوت (الباء) قلقلة تُوحي بالحركة والاضطراب، مشيرة إلى ما يُلاقيه الإنسان من مقاومة داخلية أثناء محاولته تخطي هذه العقبة من بذل المال ومساعدة الضعفاء.

ويمكن القول إن الدلالة الصوتية برزت لنا المعنى الاجتماعي الذي يتمثل في طبيعة التحديات الاجتماعية التي يواجهها الفرد والمجتمع، فإطعام المساكين أو عتق الرقاب أو الصبر على النوائب كلها جهود فردية وجماعية لا تُنال إلا بالمجاهدة والمغالبة.

---

(١) أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت٥٤٣هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا ج٤ ص ٤٠٠، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل ج١٠ ص ٤٨٢، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.

واختيار لفظ (العقبة) أنسبُ للمقام ههنا، فاختيار(العقبة) بعد(النجدين) اختيار بديع، وهو كما جاء في (روح المعاني):" إن ذكرها بعد النجدين جعل الاستعارة في الذروة العليا من البلاغة"(١)، كما أنَّ الاقتحام:" هو أنسب الألفاظ للعقبة لما بينهما من تلاؤم في الشدة والمجاهدة واحتمال الصعب"(٢).

وسميت هذه الأمور عقبة، لأن الذي يتخطاها، إنما يغالب نوازع نفسه، من الأثرة، وحب المال، وإنه ليس من السهل على الإنسان أن ينزع من نفسه الأنانية والأثرة، وحبّ المال، وإن ذلك ليحتاج إلى معاناة وجهاد ومغالبة، حتى يقهر المرء هذه القوى التي تحول بينه وبين البذل والسخاء"(٣).

*** مَسْغَبَة:**

قال الخليل: "السَاغُب: الجائع، وسَغَبَ يَسْغَبُ سُغُوباً ومَسْغَبَةً(٤)، وَقَالَ بعض أهل اللُّغَة: لَا يكون السغب إِلَّا الْجُوع مَعَ التَّعَب وَرُبمَا سمي الْعَطش سغبا وَلَيْسَ بمستعمل(٥)، ويتيمٌ ذو مَسْغَبَةٍ، أي ذو مجاعة(٦).

وقد أسهمت أصوات لفظة "مسغبة" (السين، الغين، الباء) في تجسيد حال الفقراء والمحتاجين الذي يعانون من الجوع الشديد، فصوت (السين) المهموس الاحتكاكي الممتد، يُوحي بانتشار حالة الجوع بين الناس، ويأتي صوت الغين الخارج من:"أدنى الحلق–أي أقربه– من الفم" ليُصور عمق هذه المعاناة واستقرارها

(١) روح المعاني للألوسي ج ١٥ ص٣٥٣.

(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت١٤١٩هـ) ج١ ص ١٨٣، دار المعارف – القاهرة، ط٧ .

(٣) التفسير القرآني للقرآن ج١٦ ص ١٥٧٩.

(٤) العين (س غ ب) ج٤ ص ٣٨٠.

(٥) جمهرة اللغة (س غ ب) ج ١ ص ٣٣٨.

(٦) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (س غ ب) ج١ ص ١٤٧.

في عمق المجتمع، ثم تختم الكلمة بصوت الباء الشديد المقلقل معبرًا عن الانغلاق الذي يعيشه الجائعون حين يُعجزون عن دفع الجوع.

وهكذا فإن ترتيب هذه الأصوات وطبيعتها يسهم في إبراز البعد الاجتماعي للمسغبة، بوصفها مشكلة اجتماعية تستوجب التعاون والتكافل.

ب-الدلالة الصرفية في الآيات:

***دلالة التعبير بصيغة (افتعل)**[1]: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ (البلد: ١١).

اختار القرآن الصيغة المناسبة والمعبرة عن المعنى أدق تعبير؛ ذلك لأن الفرق الدلالي واضح بين (قحم) التي تدل على مباشرة الفعل دون تكلف ومشقة والوصول إليه في منتهى السهولة واليسر وبين (اقتحم) التي تدل على مباشرة الفعل والسعي إليه بقصد، والوصول إليه بمعاناة ومشقة وجهد[2]، يقول ابن عاشور: "وَالِاقْتِحَامُ: الدُّخُولُ الْعَسِيرُ فِي مَكَانٍ أَوْ جَمَاعَةٍ كَثِيرِينَ يُقَالُ: اقْتَحَمَ الصَّفَّ، وَهُوَ افْتِعَالٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّكَلُّفِ مِثْلَ اكْتَسَبَ، فَشُبِّهَ تَكَلُّفُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بِاقْتِحَامِ الْعَقَبَةِ فِي شِدَّتِهِ عَلَى النَّفْسِ وَمَشَقَّتِهِ"[3]، فاختيار صيغة (اقتحم) هنا تصوير حي للمشقة

(١) ذكر العلماء لـ(افتعل) ستة معانٍ، منها: "التَّصَرُّفُ والاجتهادُ: كقولك: اكتَسَبَ، أي: تَصَرَّفَ واجتَهَدَ، فأمَّا كَسَبَ فأصابَ مالًا، ينظر: الممتع الكبير في التصريف،علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور (ت٦٦٩هـ) : ص ١٣١، مكتبة لبنان، ط١, ١٩٩٦، وقد عبر كثير من العلماء عن هذا المعنى بـ " التسبب في الشيء والسعي فيه، تقول: اكتسبت المال إذا حصلته بسعي وقصد، وتقول: كسبته، إن لم يكن بسعى وقصد، كالمال الموروث "ينظر: النحو الوافي، عباس حسن (ت ١٣٩٨هـ) ج٢ ص١٦٨، دار المعارف.

(٢) ينظر: بحث من قصص النساء في القرآن دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي، د/ سوسن حسانين الهدهد، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد(١٦١ الجزء الثاني) ديسمبر ٢٠١٤: ص ٧٦٧.

(٣) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٣٥٦.

النفسية والاجتماعية معًا، إذ يحتاج الفرد إلى أن يُجاهد نفسه، ويتخطى حواجز الأنانية، ليشارك في رفع المعاناة عن غيره.

***دلالة الفعل الماضي ﴿ أَدْرَىٰكَ ﴾:**

الدّراية: المعرفة المدركة بضرب من الحيل ... والدّراية لا تستعمل في الله تعالى[١]، وقد استخدم القرآن الكريم الفعل الماضي في هذه الآية؛ لأنه أتى بعده بتفصيل الجواب، بخلاف صيغة المضارع (يدريك) لا يفصّل بعدها ولا يجاب على السؤال ويبقى مبهما، بالإضافة إلى أن الفعل الماضي يدل على تحقق الفعل وثبوته، وهذا يشير إلى أن المجتمع بحاجة إلى معارف يقينية ومؤكدة، وهذا يؤدي بدوره إلى الاستقرار النفسي والاجتماعي.

***دلالة التعبير بالمصدر(إطْعَام) في قوله تعالى:** ﴿ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ (البلد: ١٤).

(إطعام) مصدر لمزيد الثلاثي (أطعم)، وقد عبَّر القرآن الكريم بصيغة المصدر(إطعام) دون(طعام) لتأكيد المعنى المراد، وقد بيَّن ابن يعيش أن هذه المصادر مما يُوصف بها للمبالغة، فقال:"فهذه المصادرُ كلُّها ممّا وُصف بها للمبالغة، كأنّهم جعلوا الموصوف ذلك المعنى لكثرةِ حُصوله منه"[٢]،"أي أوقع الإطعام لشيء له قابلية ذلك"[٣]، بالإضافة إلى ذلك فإن لفظ :"الطعام تحتمل معنيين أولهما: أن تكون بمعنى المصدر لفعل أطعم وهي تعني عملية الأكل نفسها ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ (عبس:٢٤) ﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ (الفجر:١٨)، وثانيها: أن يكون هو الأكل نفسه، وكل آية ورد فيها لفظ (طعام) فيها احتمالين في المعنى (الطعام والإطعام) كما قال المفسرون وكلاهما مرادان

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٣١٢.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ج٢ ص٢٣٧.

(٣) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ج ٨ ص٤٣٣.

في المعنى، لكن في هذه السورة ومن سياق الآيات نلاحظ أن المُراد هنا معنى (إطعام)؛ لأن اليوم ذي مسغبة والمقصود الأكل؛ لأن الجوع مع التعب يُسبب إطعام.

أما عدم استخدام (أن تطعموا)؛ لأن الفعل المضارع مع وجود أن يدل معناه على الحدوث مستقبلاً ولكن هذا المعنى لا يصح في الآية؛ لأن المسغبة قائمة ويجب أن يكون الإطعام فوراً ولهذا استخدمت الصيغة الإسمية"[1].

ويمكن القول: إن استخدام المصدر(إطعام) بدلاً من الفعل أو الاسم (طعام) يُعطي دلالة على استمرارية الفعل وثباته كقيمة قائمة بذاتها، فقد وجه السياق القرآني في هذه الآية الكريمة المجتمع إلى تحمل مسؤلية التكافل بصورة عملية، مع التأكيد على أنَّ الإطعام يجب أن يكون فعلًا متواصلًا، خصوصًا عند انتشار الحاجة والفقر.

***دلالة التعبير بالمصادر الميمية(مَسْغَبَة، مَقْرَبَة، مَتْرَبَة):**

في قوله تعالى: ﴿ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾"(البلد من١٤ :١٦).

(مسغبة ومقربة ومتربة) مصادر ميمية على وزن مفعلة، قال الآلوسي في روح المعاني:"مَسْغَبَةٍ مصدر ميمي بمعنى السغب، ... يَتِيماً ذا مَقْرَبَةٍ أي قرابة فهو مصدر ميمي أيضا من قرب في النسب،.... أَوْ مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ أي افتقار وهو مصدر ميمي كما تقدم من ترب إذا افتقر ومعناه التصق بالتراب"[2].

---

(١) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي ص ٢٣١، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط ٣، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

(٢) روح المعاني ج١٥ ص٣٥٤.

والمصدر الميمى يصلح للدلالة على الزمان أو المكان أو الحدث، جاء في شذا العرف:"صيغة الزمان والمكان والمصدر الميميّ واحدة فى غير الثلاثيّ، وكذا فى بعض أوزان الثلاثيّ، والتمييز بينها بالقرائن، فإن لم توجد قرينة، فهو صالح للزمان، والمكان والمصدر "(١).

كما أنَّ: "المصدر الميمي في الغالب يحمل معه عنصر (الذات) بخلاف المصدر غير الميمي فإنه حدث مجرد من كل شيئ"(٢).

والمصدر الميمي في كثير من التعبيرات يحمل معنى لا يحمله المصدر غير الميمي(٣)، ففي هذه الألفاظ القرآنية الثلاث ﴿مَسْغَبَةٍ –مَقْرَبَةٍ –مَتْرَبَةٍ ﴾.

حمل معنى الانتهاء، فكأنه أراد الغاية أو منتهاها في (الجوع، والقرابة، والفقر).

فالتعبير بالمصدر الميمي (مَسْغَبَةٍ) أفاد المبالغة في وصف اليوم بشدة الجوع، يقول ابن عاشور:"وَالْمُرَادُ بِـ "يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ" زَمَانٌ لا النَّهَارُ الْمَعْرُوفُ، وَإِضَافَةُ ذِي إِلَى مَسْغَبَةٍ تُفِيدُ اخْتِصَاصَ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِالْمَسْغَبَةِ، أَيْ يَوْمُ مَجَاعَةٍ، وَذَلِكَ زَمَنُ الْبَرْدِ وَزَمَنُ الْقَحْطِ، وَوَجْهُ تَخْصِيصِ الْيَوْمِ ذِي الْمَسْغَبَةِ بِالْإِطْعَامِ فِيهِ أَنَّ النَّاسَ فِي زَمَنِ الْمَجَاعَةِ يَشْتَدُّ شُحُّهُمْ بِالْمَالِ خَشْيَةَ امْتِدَادِ زَمَنِ الْمَجَاعَةِ وَالاحْتِيَاجِ إِلَى الأَقْوَاتِ، فَالإِطْعَامُ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ أَفْضَلُ، وَهُوَ الْعَقَبَةُ وَدُونَ الْعَقَبَةِ مَصَاعِدُ مُتَفَاوِتَةٌ"(٤).

(١) شذا العرف في فن الصرف ص ٧١.

(٢) معاني الأبنية، فاضل السامرائي ص ٣١، دار عمار، ط٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

(٣) ينظر: معاني الأبنية، فاضل السامرائي ص٣٢.

(٤) التحرير والتنوير ج٣٠ ص ٣٥٨.

وقد آثر التعبير القرآني كلمة (مسغبة) بدل سغب أو جوع أو مخمصة؛ لأمرين:

أولا: أن "المسغبة تعني الجوع العام والجماعي وليس للفرد، والسغب هو الجوع الفردي،

ثانياً: أن المسغبة هي الجوع العام مع التعب والإرهاق؛ ولهذا خصص باستعمال (مسغبة)، أما الجوع فلا يرافقه بالضرورة التعب والإرهاق، أما المخمصة فهي الجوع الذي يرافقه ضمور البطن"(١).

كما أنَّ:" الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلّا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السّغب، ويذكرون الجوع في حالة القدرة والسلامة ...، حيث يكون الجوع غاية الحاجة الفيزيولوجية للطعام، وفي أبشع طلب لهذه الحاجة، وليس كالسّغب الذي اختير في مكان الرحمة، وبعث همّة المؤمنين لمساعدة الآخرين المحتاجين خصوصا إذا كانوا يتامى"(٢).

وكذا التعبير بالمصدر الميمي(مَقْرَبَة) أفاد شدة قرب اليتيم من المُطْعِم، والمقصود قرابة النسب، يقول ابن عاشور:"وَوُصِفَ بِكَوْنِهِ ذَا مَقْرَبَةٍ أَيْ مَقْرَبَةٍ مِنَ الْمُطْعِمِ؛ لأَنَّ هَذَا الْوَصْفَ يُؤَكِّدُ إِطْعَامَهُ؛ لِأَنَّ فِي كَوْنِهِ يَتِيمًا إِغَاثَةً لَهُ بِالْإِطْعَامِ، وَفِي كَوْنِهِ ذَا مَقْرَبَةٍ صِلَةً لِلرَّحِمِ"(٣).

وكذلك الحال أيضًا في التعبير بالمصدر الميمي (مَتْرَبَة) أفاد شدة المسكنة والفاقة، حتى أنه قد لَصِقَ بالتراب من فقره وضُرّه، جاء في الصحاح:" والمَتْرَبَةُ:

(١) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ص ٢٣٠.

(٢) جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف ص ٤٥، دار المكتبى – دمشق، ط٢، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م.

(٣) التحرير والتنوير ج٣٠ ص ٣٥٩.

المَسْكَنَةُ والفاقَةُ، ومِسكينٌ ذو مَتْرَبَةٍ، أي لاصِقٌ بالترابِ"[١]، وهنا يعكس استعمال المصدر الميمي المبالغة في وصفه بالعوز والهوان، حتى كأنه من شدة الاحتياج لا يجد سوى التراب.

ويمكن القول إن الدلالة الصرفية في هذه المواضع قد ساهمت في إبراز شدة العوز والاحتياج لهؤلاء الأصناف الثلاث، بالإضافة إلى ما يحمله الخطاب القرآني من بعد اجتماعي قوي، يدعو إلى التكافل والرحمة، ويؤكد أنَّ اقتحام العقبة يكون من خلال رعاية الأضعف في المجتمع، ومد يد العون إلى أقرب الناس حاجة، فليتفقد كل منا أقرباءه المحتاجين، وليتابع أحوال اليتامى المساكين، وليجاهد نفسه ليحملها على طاعة الله تعالى، فإن اقتحام العقبة فى الدنيا والآخرة يتحقق بهذا السلوك القويم الذى يؤدى إلى التراحم بين الناس، والعناية بضعفائهم.

ج-الدلالة التركيبية في الآيات:

الوحدة التركيبية الأولى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ (البلد: ١١).

اختلف المفسرون في معنى (لا) في قوله تعالى:"فلا اقتحم العقبة" هذه الآية، فذهب بعضهم إلى أنها نافية للفعل الماضي :"يعني: فلا هو اقتحم العقبة، ويقال: فلم يقتحم"[٢].

ومن المعلوم أن (لا) إذا نفت الفعل الماضي، وجب تكرارها، إلا ما ندر، جاء في الجنى الداني:"وقد تدخل لا النافية على الماضي قليلاً، والأكثر حينئذ أن تكون مكررة، كقوله تعالى:"فلا صدق، ولا صلى" [٣].

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ج ١ ص ٩١.

(٢) تفسير السمرقندي ج٣ ص٥٨٣.

(٣) الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩هـ)، تح: فخر الدين قباوة – محمد نديم فاضل: ص ٢٩٧، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١(١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م).

وأما هنا في قوله تعالى :"فلا اقتحم العقبة" فإنها لم تتكرر، قال النَّسفي: "وقلما تستعمل (لا) مع الماضى إلا مكررة، وإنما لم تكرر في الكلام الأفصح؛ لأنه لما فسر اقتحام العقبة بثلاثة أشياء صار كأنه أعاد (لا) ثلاث مرات، وتقديره: فلا فك رقبة ولا أطعم مسكيناً ولا آمن"(١).

وذهب آخرون إلى أن (لا) تفيد الدعاء، فلا يلزم تكرارها، جاء في (روح المعاني): "وقيل: إنَّ (لا) للدعاء، والكلام دعاء على ذلك الكافر أن لا يرزقه الله تعالى ذلك الخير "(٢).

وقال ابن زيد وجماعة من المفسرين: "معنى الكلام الاستفهام الذي معناه الإنكار؛ تقديره: أفلا اقتحم العقبة"(٣).

وقيل أن معنى (لا) التحضيض: جاء في تفسير المظهري:"فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ قيل(لا) هاهنا ليس على معناها، فإنها لا تدخل على الماضي إلا مكررا، فهي بمعنى هلا، والمعنى: فهلا اقتحم العقبة بإنفاق ماله فيما يجوز به العقبة من الطاعات فيكون خيرا له من إنفاقه فى عداوة النبي صلى الله عليه وسلم "(٤).

وهذه المعاني جميعها تتقارب في دلالتها على التوبيخ والتأنيب والحض، يقول د/فاضل السامرائي: "وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة، فقد جمع هذا التعبير عدة معان في آن واحد: المضي والاستقبال والتوبيخ والحض والدعاء، فهو أخبر أنه لم يقتحم العقبة فيما مضى من عمره، وأنه لا يقتحمها في المستقبل، وأنه وَبَّخه على ذلك، ودعا عليه بعدم اقتحامها، فانظر كيف جمع هذا التعبير هذه المعاني،

(١) تفسير النسفي ج٣ ص٦٤٥.
(٢) روح المعاني ج١٥ ص٣٥٥.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ج٢٠ ص٦٦.
(٤) التفسير المظهري ج١٠ ص٢٦٦.

وكلها مُرادةٌ مطلوبة وأنه لو جاء بأي حرف آخر غير (لا) لم يُفِدْ هذه المعاني الكثيرة المتعددة، فهو لو قال: (ما اقتحم العقبة) أو (لم يقتحم العقبة) لم يفد إلا الإخبار عنه في الماضي، فانظر كيف وسَّعت (لا) المعنى وجمعت معاني عدة في تعبير واحد؟"[١].

وهذه الدلالة التركيبية تعكس معنًى اجتماعيًا، وهو الحث على اقتحام مشاق الإحسان والتكافل، ورعاية الضعفاء والمحتاجين باعتبارها الطريق لتجاوز العقبات الاجتماعية.

الوحدة التركيبية الثانية:«وَما أَدْراكَ مَا الْعَقَبَةُ»:

ورد هذا الأسلوب في القرآن كثيرًا على سبيل التفخيم والتعظيم والتهويل، وهو"سؤال يثير العقل، ويحرك الفكر، نحو هذا المجهول الذي يُسأل عنه"[٢]، أَي:"وما أَعلمك وأَخبرك ما اقتحام العقبة ومجاوزتها وتخطيها؛ وهذا ينبئُ عن عظيم شأْنها وكبير خطرها"[٣].

"والخاصة البيانية لهذا الأسلوب: ما أدراك، استعماله فيما يجاوز دراية المسئول، وهو هنا لجلال الأمر وعظمته"[٤].

وقد جاء التكرار في قوله تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴾ (البلد: ١١ - ١٢) ليفيد التشويق إلى معرفة المراد من العقبة بالإضافة إلى التفخيم والتعظيم والتهويل، يقول ابن عاشور: "وَقَوْلُهُ: وَما أَدْراكَ مَا الْعَقَبَةُ حَالٌ مِنَ الْعَقَبَةَ

(١) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د/ فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي ص ٢٧٠، دار عمار، عمان – الأردن، ط ٣، (١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م).

(٢) التفسير القرآني للقرآن ج ١٦ ص١٥٧٧.

(٣) التفسير الوسيط – مجمع البحوث ج١٠ ص ١٩١٩.

(٤) التفسير القرآني للقرآن ج ٢ ص١٧٦.

فِي قَوْلِهِ:"**فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ**" لِلتَّنْوِيهِ بِهَا وَأَنَّهَا لِأَهَمِّيَّتِهَا يُسْأَلُ عَنْهَا الْمُخَاطَبُ هَلْ أَعْلَمَهُ مُعْلِمٌ مَا هِيَ، أَيْ لَمْ يَقْتَحِمِ الْعَقَبَةَ فِي حَالِ جَدَارَتِهَا بِأَنْ تُقْتَحَمَ، وَهَذَا التَّنْوِيهُ يُفِيدُ التَّشْوِيقَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْمُرَادِ مِنَ الْعَقَبَةِ"(١).

ويفيد أيضا تكرار لفظ العقبة قوة المعنى وتأكيده؛ لأن :"الاسم الظاهر أقوى في الدلالة من الضمير؛ إذ لا يحتاج إلى مرجع يفسره، بخلاف الضمير"(٢)، ومعنى ذلك أن التعبير بالاسم الظاهر هنا أقوى من التكرار بالضمير(هي).

وهذا الأسلوب القرآني يعكس دلالة اجتماعية ونفسية عميقة، فـ"العقبة" هنا ترمز إلى العقبات الاجتماعية والإنسانية كفك الرقاب، وإطعام الجائع، وكفالة اليتيم، فجاء هذا التركيب ليحرك وجدان المتلقي ويدفعه إلى إدراك أنَّ النجاة في الدنيا والآخرة تمر عبر اقتحام هذه العقبات، التي تتطلب الأثرة وبذل المال.

***دلالة التعبير ب (أو) في قوله تعالى:** ﴿ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ (البلد: ١٤ - ١٦) (أو) حرف عطف يفيد معاني متعددة، منها الشك أو الإبهام أو التخيير أو الإباحة، وقد يأتي أحيانًا بمعنى(الواو) أي ليفيد معنى الجمع المطلق (٣) .

وأو في قوله تعالى: ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ فيها: "معنى الإباحة ومعنى التخيير؛ لأن الكلام يتضمن معنى الحضّ والأمر فيها أيضا معنى التفضيل المجرد؛ لأن الكلام يجري مجرى الخبر الذي لا تكون "أو" فيه إلا منفصلة "(٤)،

(١) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٣٥٧.

(٢) النحو الوافي ج٣ ص ٥٢٤.

(٣) ينظر: ظاهرة التقارض في النحو العربي، أحمد محمد عبد الله، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ج٥٩ ص٢٨٠.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد ج٥ ص٤٥٧، دار الكتب العلمية – لبنان– ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

وقال ابن عاشور:" وأَوْ لِلتَّقْسِيمِ وَهُوَ مَعْنَى مِنْ مَعَانِي (أَوْ) جَاءَ مِنْ إِفَادَةِ التَّخْيِيرِ "(١).

"وجاء بـ (أو) ولم يأت بالواو ذلك أن الواو تفيد معنى الجمع ومعناه: لو أتى بالواو لا يقتحم العقبة إلا إذا فك الرقبة، وأطعم هذين الصنفين جميعًا، فإن أطعم صنفًا واحدًا لم يقتحم العقبة، وهو غيرُ مُرادٍ، بل المراد التنويع، والمقصود أن يُطعم هذه الأصناف من الناس، اليتيم أو المسكين، على سبيل الاجتماع أو الانفراد، وقد قدم فك الرقاب على إطعام اليتامى والمساكين إشارة إلى عظم الحرية في الإسلام وأن المطلوب أولاً تحريرُ الناس من العبودية والاسترقاق"(٢).

وتكشف هذه الدلالة التركيبية عن دلالة اجتماعية عميقة، إذ تُشير إلى التنويع في سُبل الخير والتكافل، وتمنح المسلم حرية اختيار ما يستطيع فعله من بين هذه الأعمال الصالحة، مما يُبرز سماحة الشريعة الإسلامية ومراعاتها لتفاوت القدرات، فضلاً عن توسيع دائرة مشاركة الجميع في هذه الأعمال الصالحة.

تعقيب:

في هذه الآيات الكريمات من سورة البلد تكاتفت الوحدات الصوتية والصرفية والتركيبية، وألقت بظلالها على النص القرآني، وبيَّنت ما فيه من دلالات اجتماعية لها عظيم الأثر على المجتمع، فقد دعا القرآن بقوة في مواضع متعددة إلى التكافل الاجتماعي، مصورًا المجتمع كجسد واحد يتساند فيه الغني الفقير، وقد نبهت سورة البلد الناس إلى نوعين بارزين من صور التكافل هما: (عتق الرقاب، وإطعام اليتامى والمساكين).

(١) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٣٥٩.

(٢) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ص ٢٧٢.

وقد ساهمت الدلالات الصوتية والصرفية والتركيبية في إبراز المعنى الاجتماعي المستفاد من الآيات الكريمات، حيث جاءت الدلالة الصوتية وذلك من خلال استخدام ألفاظ قوية مثل: "اقتحم"، و"العقبة" لتدل على شدة المشقة التي يتطلبها المسلم لتجاوز العقبات، وهو ما يعكس علوّ هذه الأعمال عند الله تعالى، أما الدلالة الصرفية فبرزت في ألفاظ مثل "مسغبة" و"متربة" التي تصور شدة فقر المحتاجين وبؤس حالهم، مما يُضاعف من أهمية مد يد العون إليهم، في حين أسهمت الدلالة التركيبية من خلال تراكيب مثل:"فلا اقتحم العقبة"، و"أو إطعام" في بيان أهمية التنوع في وجوه البر وسماحة الشريعة الإسلامية التي تُيسر للمسلم أن يختار ما يستطيع فعله من أعمال الخير، وهذه المعاني كلها تترابط في إطار الدعوة إلى الرحمة ومجاهدة النفس، بما يجعل اقتحام العقبة خُلُقًا إيمانيًا يُقرب العبد من رضا الله عز وجل.

وقد عقبت د/عائشة محمد عبد الرحمن على هذه الآيات قائلةً :"هي آيات العدالة الاجتماعية، لتصحيح الأوضاع المادية التي أباحت وجود مقتدر ذي مال لبد، ويتيم جائع ذي مقربة أو مسكين ذي متربة، والقرآن يضع هذه العدالة الاجتماعية تالية لفك الرقبة، ويأتي بها في مساق البيان لاقتحام العقبة، مقدرًا ما في تصحيح هذا الوضع الفاسد من صعوبة، وما يتطلبه من مجاهدة ومكابدة"[1].

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم، لعائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت: ١٤١٩هـ) ج١ ص١٨٧، دار المعارف – القاهرة، ط٧.

المبحث الثالث

الترهيب من منع إطعام الطعام، وعقوبته

إنَّ المتأمل في آيات القرآن الكريم يلحظ أن الامتناع عن إطعام الطعام وخاصة طعام المسكين أو التقاعس عن الحضّ عليه، قد ارتبط بأشد الذنوب وأعظم المعاصي، كترك الصلاة، والخوض مع الخائضين، والتكذيب بيوم الدين، وعدم الإيمان بالله العظيم، بل جعلت بعض آيات القرآن الكريم عدم الحض على طعام المسكين من أشهر العلامات على الكفر والتكذيب بيوم الدين.

وانطلاقًا من ذلك، قمت بحصر الآيات التي تناولت عقوبة من امتنع عن إطعام الطعام أو لم يحض عليه، ما بين وعيد وعتاب، وأخرى ضمن صفات المكذبين بالدين، أُبينها فيما يلي:

الموضع الأول:

قال تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ (الحاقة ٣١ : ٣٤).

أولا: معنى الآيات الكريمات:

في هذه الآيات الكريمة توعد القرآن الكريم أولئك الذين لا ترق قلوبهم للإنسانية، ولا يعطفون على المساكين والفقراء، وقرنهم بهؤلاء الذين لا يؤمنون بالله، وكأنما الكفر بالله قرين الكفر بالإنسانية، فقد بيَّن الله – سبحانه– في هذه الآيات أسباب الوعيد الشديد، فبدأ بأقوى أسباب هذا العذاب وهو عدم الإيمان بالله العظيم، وعدم الحض على طعام المسكين والفقير، والمعنى:" أنه لا يُؤدي حقوق الله من توحيده وعبادته وعدم الشرك به، ولا يُؤدي حقوق العباد من الإحسان والمعاونة على البر والتقوى"(١).

(١) التفسير المنير ج ٢٩ ص ٩٩.

ثانيًا: مناسبة الآيات الكريمة للمقصد العام للسورة :

تضمنت سورة الحاقة ثلاثة مقاصد[١]:

١-هلاك الأمم المكذبة لرسلها فى الدنيا.

٢- عذاب الآخرة جزاء على التكذيب فى الدنيا.

٣- إثبات أن القرآن العظيم وحي من عند الله وليس بقول شاعر ولا كاهن.

ولا يخفى أن عدم الحض على طعام المسكين من الأمور التي تستوجب عذاب الآخرة، ويكفي دليلًا على ذلك أنه قرنه بالإيمان بالله العظيم.

وتمتاز سورة الحاقة: "بقصر آياتها، وبرهبة وقعها على النفوس، إذ كل قارئ لها بتدبر وتفكر، يحس عند قراءتها بالهول القاصم، وبالجد الصارم، وببيان أن هذا الدين حق لا يشوبه باطل، وأن ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم صدق لا يحوم حوله كذب، نرى ذلك كله في اسمها، وفي حديثها عن مصارع الغابرين، وعن مشاهد يوم القيامة التي يشيب لها الولدان"[٢].

ثالثًا:الدراسة التحليلية للآيات :

أ-الدلالة الصوتية في الآيات:-

* ﴿يَحُضُّ﴾:

الحض هو: "الْحَث على الْخَيْر"[٣]، وُيقال حَضَّهُ: "عَلَى الْأَمْرِ حَضًّا مِنْ بَابِ قَتَلَ حَمَلَهُ عَلَيْهِ وَالتَّحْضِيضُ مِنْهُ لَكِنَّهُ شُدِّدَ مُبَالَغَةً"[٤]، وقد فرّق أهل اللغة بين

(١) ينظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، ج ٢٩ ص ٦٤، - مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي ج١٥ ص ٦٥ -٦٦.

(٣) تهذيب اللغة (ح ض) ج٣ص ٢٥٦.

(٤) ينظر: المصباح المنير (ح ض) ج١ ص١٤٠.

الحثّ والحضّ، فقالوا: "الحثّ يكون في السير والسوق وكل شيء، والحضّ لا يكون في سير ولا سوقٍ"(١)، مما يُشير إلى أنَّ الحضّ يختص بالتحفيز المعنوي، أكثر من المادي.

وقد آثر التعبير القرآني لفظة (حَضَّ) دون غيرها من الألفاظ القريبة في المعنى كـ "حثَّ" أو "حرَّض"؛ لما في هذا اللفظ من قوة تنبع من خصائصه الصوتية، فصوت (الضاد) يحمل صفات القوة والامتداد، فهو: رخو، مجهور، مستعل، مفخم، مصمت، مستطيل، وهذه الصفات تتناسب مع المعنى المقصود من"حضَّ" الذي يدل على شدة الإلحاح، يقول ابن عاشور:" وَالْحَضُّ عَلَى الشَّيْءِ: أَنْ يَطْلُبَ مِنْ أَحَدٍ فِعْلَ شَيْءٍ وَيُلِحَّ فِي ذَلِكَ الطَّلَبِ"(٢).

وقد عكست الدلالة الصوتية للفظ(حضَّ) دلالة نفسية واجتماعية معًا، فمن الناحية النفسية، يُوحي صوت الضاد في "حضّ" بما جُبلت عليه النفس البشرية من شُح وبُخل، فكأنَّ الكلمة تُحاكي مقاومة النفس لهذا الشحّ من خلال صوت ثقيل مستطيل يرمز للمجاهدة الداخلية التي يمر بها الإنسان حين يُدفع إلى البذل والعطاء.

أمَّا من الناحية الاجتماعية، فإن الحضّ يُسهم في إبراز قيم البذل والسخاء، إذ يُصبح الإنسان الذي يلتزم بالإحسان قدوة حسنة لغيره، فُيؤثر في نفوسهم ويُحفزهم على مساعدة الفقراء والمحتاجين، مما يُعزز روح التعاون والتكافل في المجتمع.

وقد علَّق الشيخ / عبد الكريم يُونس على هذه الآية بقوله: "وفى التعبير عن الدعوة إلى طعام المسكين، بلفظ (الحضّ) إشارة إلى ما فى الطبيعة الإنسانية من شُحّ وبخل، وحبّ للذات، وأن الإحسان إلى الفقراء لا يكون إلا عن مغالبة هذه

(١) ينظر: مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تح: زهير عبد المحسن سلطان ص ٢١٤، (مؤسسة الرسالة – بيروت)، ط ٢(١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م).

(٢) التحرير والتنوير ج٢٩ ص ١٣٩.

الطبيعة، وحمل النفس على ما يخالف هواها، وهذا إنما يكون عن مراودة بين الإنسان ونفسه، وحثُّها على البذل والسخاء ثم إن فى بذل الإنسان، وسخائه فى وجوه البر والمعروف، حضّا صامتًا على إشاعة الإحسان بين الناس، حيث يرى فيه النَّاس قدوة حسنة فى هذا المقام"(١).

* ﴿ٱلۡمِسۡكِينِ﴾:

لفظ (المسكين) يدل في الأصل اللغوي على: "خِلَافِ الِاضْطِرَابِ وَالْحَرَكَةِ، يُقَالُ سَكَنَ الشَّيْءُ يَسْكُنُ سُكُونًا فَهُوَ سَاكِنٌ"(٢)، و"السُّكُونُ: ثبوت الشيء بعد تحرّك"(٣)، "وَالْمِسْكِينُ مَأْخُوذٌ مِنْ هَذَا لِسُكُونِهِ إِلَى النَّاسِ"(٤)، وكل من احْتَاجَ إِلَى كل شَيْء فَهُوَ مِسْكين"(٥).

ومن الواضح أن الدلالة الأصلية للفظ لا تدل بشكل مباشر على الاحتياج، وإنما تشير إلى مظهر المحتاج وهيئته التي يُعرف بها، يقول د/ جبل:"والمسكين من هذا، أى القارّ الصابر على ما هو فيه لا يجاهد للتخلص منه إما للتسليم لصاحب الأمر سبحانه، أو لسبب عنده... والأصل فيه شدة القرار ويصدق هذا بعدم التصرف والاحتيال"(٦).

وقد أسهم البناء الصوتي للفظ في تصوير حالة المسكين وهيئته من الضعف والذِّلة، خاصة صوت الكاف الذي توسط الكلمة، وهو من الأصوات التي يغلب عليها صفات الضعف من: همس، وانفتاح، واستفال، وترقيق، مما يعكس ضعف

(١) التفسير القرآني للقرآن ج ١٥ص١١٤٦.
(٢) مقاييس اللغة (س ك ن) ج٣ ص٨٨.
(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٤١٧ .
(٤) المصباح المنير ج١ ص ٢٨٣.
(٥) الكليات ص ٨٠٣
(٦) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن (س ك ن) ج٢ ص ١٠٤٢-١٠٤٣.

المسكين وذلّته، يقول ابن عاشور:"والمسكين ذُو الْمَسْكَنَةِ، وَهِيَ الْمَذَلَّةُ الَّتِي تَحْصُلُ بِسَبَبِ الْفَقْرِ"(١)، وقد دُعِمَ صوت (الكاف) بصوت (السين) الذي جمع هو أيضًا صفات مشابهة كالهمس، والاحتكاك، والانفتاح، والاستفال، والاصمات، مما زاد من تصوير هيئة الانكسار والاستكانة، ثم تختم الكلمة بحرف النون، الخارج من طرف اللسان ليمثل حالة المسكين من الاستقرار في مكانه، والاستسلام لحاله، حيث تعبر:" النون عن الامتداد في الباطن، فيعبّر التركيب عن استقرار في باطن، كالساكن في مستقره"(٢).

أُضيف إلى ذلك أنَّ النون بما فيها من جهر ووضوح يتناسبان مع مجاهرة المسكين بالسؤال؛ لأنه بلغ من الفقر مبلغًا لا يخفى، فظهر عليه الضعف والسكون، حتى صار حاله بيّنًا لا يحتاج إلى وصف.

ومن هنا تكمن الدلالة الاجتماعية، فالبنية الصوتية للكلمة بما فيها من همس ورقة وضعف تُجسد ملامح الذل والانكسار والاستكانة الظاهرة في سلوك المسكين، هذا الانكسار اللفظي يُقابل بحالة اجتماعية تستدعي مشاعر الرحمة، فيتسابق المؤمنون إلى الإحسان.

*﴿ فَغُلُّوهُ – صَلُّوهُ – فَٱسْلُكُوهُ ﴾:

في هذه الكلمات الثلاث صور بيانية تعكس مدى إعجاز القرآن الكريم في اختيار حروفه وكلماته، التي تُخاطب النفوس وتلامس القلوب، وتعمل على إيصال المعنى إلى القلوب قبل العقول.

فإذا تأملنا هذه الكلمات القرآنية، نجد أنها جميعًا تنتهي بصوت الهاء، وهو صوت مهموس، والصوت المهموس، صوت ضعيف خفي، يتناسب في دلالته مع

(١) التحرير والتنوير ج١٠ ص ٢٣٥.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن (س ك ن) ج٢ ص ١٠٣٩.

الحالة النفسية والجسدية لمن لا يؤمن بالله، ولا يحض على طعام المسكين، فصوت الهاء يحمل: "زفرات الأسى وحرارة الندم اللذَيْن يملآن الصدر، ويترعان النفس حزنًا وآلمًا، وهمًا وغمًا"(١).

كما أنَّ الهاء من الأصوات الرخوة (الاحتكاكية)، ومن صفات الأصوات الاحتكاكية أنها: "أصوات ممتدة، بمعنى أنه يمكن الاستمرار في نطقها ما أسعف النفس"(٢)، هذا الامتداد الصوتي يتناسب مع امتداد العذاب واستمراره، مما يجعله أكثر وقعاً في النفس، وأشد إيلاما للجسد والضمير معًا.

أضيف إلى ذلك انتهاء الآيات الثلاث بالمقطع الطويل المغلق بصامت (ص ح ح ص)، الذي يُوحي بقوة العذاب وشدته، وامتداده إلى أن يشاء الله، والمعنى :"خذوه مكبّلا بالقيود والأغلال، بجمع يده إلى عنقه في الغلّ، ثم أدخلوه الجحيم ليَصلى حرَّها، ثم أدخلوه في سلسلة (حلق منتظمة) طولها سبعون ذراعا تلفّ على جسمه، لئلا يتحرك "(٣).

كما المدود الواردة في هذه الآيات تُوحي بأن:" قوى الكون كلها في حالة سباق مع الزمن لتنفيذ الأمر الإلهي الصادر بشأن "من أُوتي كتابه بشماله" تريد أن تعتقله وتسوقه سوقًا إلى المآل الذي سيصير إليه"(٤).

وهذه الدلالة الصوتية قد كشفت عن المعانى النفسية التي تحملها الآيات الكريمة، والتي تتجلى في مظاهر الانكسار الداخلي، والندم الشديد، وانهيار قوى الإنسان عند مواجهته لعدالة الله تعالى، كما تُعبر عن مشاعر الخوف والرهبة التي تملأ نفس الإنسان حين يُدرك عاقبة تفريطه، ويتأمل المصير الذي ينتظره.

---

(١) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم ص٤٠٤.

(٢) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران: ص ١٦٦، دار النهضة العربية–مصر.

(٣) التفسير المنير للزحيلي ج٢٩ ص٩٩.

(٤) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم ص٤٠٤.

وفي هذه الآيات تصوير يبعث في القلوب الخوف والخشية، ويحملها على حسن الاستعداد لهذا اليوم، وذلك بالإنابة والرجوع إلى الله – عز وجل– والمبادرة إلى فعل الخيرات والتي من أعظمها: إطعام المسكين والحض على ذلك، بوصفه دليلًا على صلاح النفس وسلامة المجتمع.

ب–الدلالة الصرفية في الآيات:

***دلالة التعبير بالفعل المضارع (يَحُضُّ):**

يفيد الفعل المضارع في أصله معنى التجدد والاستمرار، لكن إذا سبقته أداة النفي (لا)، فإنه يدل على الحال[١]، أي على نفي الفعل في الزمن الحاضر، وليس بالضرورة على استمراره في المستقبل أوتكراره في الماضي.

ومع ذلك، لا يفقد الفعل المضارع تمامًا دلالته على التكرار والاستمرار، خاصة إذا دلَّ السياق على أنَّ الفعل المنفي يُمثل سلوكًا متأصلًا في صاحبه، وهذا هو الحال في الآية الكريمة، إذ ورد الفعل "ولا يَحُضُّ" في سياق صفات ملازمة لأهل الشقاء، مما يدل على أن ترك الحض سلوك دائم ومتكرر، ينبع من غياب الوازع الديني والأخلاقي، حتى غدا طابعًا راسخًا في نفوسهم.

وقد كشفت الدلالة الصرفية عن معنى نفسي، إذ يعكس استمرار عدم الحض منهم غياب التأثر بحال المساكين والفقراء وانعدام الضمير الإنساني.

ومن الناحية الاجتماعية، فإن تكرار عدم الحضّ على طعام المسكين يُشير إلى انهيار قيم التكافل والتراحم، فلا يجد المسكين من يمد له يد العون.

---

(١) "واسم الفاعل الواقع حالا مستغن عنها، فكان هو كذلك، والمضارع المنفي بـ"لا" بمنزلة اسم الفاعل المضاف إليه"غير" فأُجري مجراه في الاستغناء عن الواو" ينظر: شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت٦٧٢هـ)، تح: عبد المنعم أحمد هريدي: ج٢ص٧٦٣، جامعة أم القرى، ط١.

***دلالة التعريف بالإضافة (طَعامِ الْمِسْكِينِ):**

أُضيف الطعام في الآية إلى المسكين للدلالة على أنَّ المسكين أحق به، كما يقول الرازي:"وَإِضَافَةُ الطَّعَامِ إِلَى الْمِسْكِينِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الطَّعَامَ حَقُّ الْمِسْكِينِ، فَكَأَنَّهُ مَنَعَ الْمِسْكِينَ مِمَّا هُوَ حَقُّهُ"(١).

وتعبير القرآن الكريم بـ" طعام المسكين" دون" إطعام المسكين" يُشعر:" بأن الفقراء يملكون كفايتهم من أموال الأغنياء"(٢)، فكانت إضافة الطعام إلى المسكين إشارة إلى أن الفقير شريك للغني في ماله، وذلك عن طريق الزكاة والصدقات والإطعام ونحوه.

كما خصَّ الله تعالى صفة عدم الحضّ على طعام المسكين بالذم؛ لما لها من أثر بالغ في تدهور حال الفقراء وهلاكهم إذا انتشرت في المجتمع، وقد أشار الزمخشري إلى خطورة هذا التركيب بقوله :"وفي قوله: "وَلا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ" دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين، أحدهما: عطفه على الكفر، وجعله قرينة له، والثاني: ذكر الحض دون الفعل؛ ليعلم أنّ تارك الحض بهذه المنزلة، فكيف بتارك الفعل"(٣).

ويمكن القول إن هذه الدلالة الصرفية تعكس دلالات اجتماعية تظهر من خلال إبراز أهمية الحض على إطعام المساكين كقيمة مجتمعية، تدعو إلى التكافل والتراحم، وتكشف أن غياب هذا السلوك يؤدي إلى تفكك المجتمع وانتشار الفقر.

(١) تفسير الرازي: ج٣٢ ص ٣٠٣.
(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور: ج٨ ص١٣٦.
(٣) تفسير الزمخشري ج٤ ص٦٠٥.

ج-الدلالة التركيبية في الآيات:

***دلالة أسلوب النفي في قوله تعالى:** ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾ (الحاقة٣٣، ٣٤).

لما ذكر سبحانه عقاب من أُوتي كتابه بشماله أتبع ذلك ببيان أسباب هذا العقاب، فالآيتان تمثلان تعليلًا على سبيل الاستئناف، وهو تعليل أبلغ:" كأنه قيل: ما له يعذب هذا العذاب الشديد؛ فأجيب بذلك"(١).

وأسلوب النفي في قوله تعالى: "إنه كان لا يؤمن بالله العظيم" يقصد به نفي إيمانهم بالله الآن وفي مستقبل الزمان، والنفي في قوله تعالى: "وَلا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ" يقصد به أنه لا يُطْعِم المسكين في الدنيا ولا يحث غيره على إطعامه، "فَالأَوَّلُ إِشَارَةٌ إِلَى فَسَادِ حَالِ الْقُوَّةِ الْعَاقِلَةِ، وَالثَّانِي إِشَارَةٌ إِلَى فساد حال القوة العملية"(٢).

وقد كشفت البنية التركيبية للآيتين، من خلال أسلوبي النفي عن عمق الانحراف الأخلاقي والاجتماعي الذي أدى إلى ذلك العقاب، فالإيمان بالله هو الأساس العقدي الذي ينبع منه السلوك الراقي تجاه الآخرين، وغيابه بالضرورة يؤدي إلى تفكك القيم الأخلاقية والإنسانية، والنفي الثاني يبين أثر هذا الفساد العقدي على البعد الاجتماعي، إذ إنَّ عدم الحث على إطعام المسكين يُجسد حالة من القسوة والأنانية.

***دلالة العطف في قوله تعالى:** ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾:

الواو في قوله تعالى: "ولا يحض" واو عاطفة، تُفيد الجمع بين الكفر والبخل في عظم الجرم، وقد جاء في تفسير النيسابوري:"وعطف حرمان المساكين على الكفر

(١) ينظر: إعراب القرآن العظيم المنسوب لزكريا الانصارى ص٥٢٩.
(٢) تفسير الرازي ج٣٠ ص ٦٣١.

تغليظ، وفي ذكر الحض دون الفعل تغليظ دون تغليظ ليعلم أن ترك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل"[١].

ونفي حضه على طعام المسكين يقتضي بطريق الأولى أنه لا يطعم المسكين من ماله؛ لأنه كان لا يحث غيره على إطعامه، "وَقَدْ جُعِلَ عَدَمُ الْحَضِّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ مُبَالَغَةً فِي شُحِّ هَذَا الشَّخْصِ عَنِ الْمَسَاكِينِ بِمَالِ غَيْرِهِ وَكِنَايَةً عَنِ الشُّحِّ عَنْهُمْ بِمَالِه"[٢]، ولذلك فإنك لا تجد بخيلًا يدعو إلى الإحسان؛ لإنتفاء صفة الإحسان عنه، وهذا هو السرّ فى اشتمال كثير من آيات القرآن الكريم على الحضّ على فعل المكارم، إذ إنَّ الدعوة إلى الخير تُعدّ سلوكًا إيمانيًا بحدّ ذاتها.

وقد أدى العطف في الآية دورًا دلاليًا عميقًا، حيث جمع بين عدم الإيمان بالله العظيم وعدم الحض على طعام المسكين، ليبين أن البخل وعدم مراعاة الفقير ليس مجرد تقصير سلوكي، بل هو انعكاس لخلل في العقيدة، ويُفهم من ذلك تحذير المسلمين من الوقوع في مثل هذه الصفات الذميمة؛ لأن الإيمان الحق لا يكتمل إلا بالتفاعل الإيجابي مع حاجات المجتمع خاصة الضعفاء منهم، مما يُبين ما للرعاية والعطف على المساكين من مكانة رفيعة في ميزان الدين.

الموضع الثاني:

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ (المدثر ٣٨ :٤٤).

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، تح: زكريا عميرات ج٦ ص ٣٥١، دار الكتب العلميه– بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

(٢) التحرير والتنوير ج٢٩ ص ١٣٩.

أولا: معنى الآيات الكريمة:

تشير الآيات الكريمة إلى تسائل أصحاب اليمين عن الأسباب التي أدت إلى دخول المجرمين النار، فأجاب المجرمون قائلين: "لم نك من المصلين كما كان يصلي المسلمون المخلصون... ولم نك نعطي المسكين ما يجب إعطاؤه، ولم نك نتصدق عليه ونطعمه، وهو من بني جنسنا وإخوتنا في الإنسانية –كما يفعل المسلمون–"(١).

ثانيًا: مناسبة الآيات الكريمة للمقصد العام للسورة :

ذكر البقاعي أن المقاصد التي سيقت لها سورة المدثر:" الجدُّ والاجتهاد في الإنذار، بدار البوار، لأهل الاستكبار، وإثبات البعث في أنفس المكذبين الفجَّار، والإشارة بالبشارة لأهل الأذكار، بحكم العزيز الغفار"(٢).

والمناسبة واضحة بين مقاصد السورة، والآيات الكريمة موضوع الدراسة، فترك الصلاة، وترك إطعام المسكين ركنان من أركان الإسلام يحتاجان إلى الإنذار والوعيد.

ثالثًا: الدراسة التحليلية للآيات:

أ–الدلالة الصرفية في الآيات:

* دلالة التعبير بالفعلين المضارعين المنفيين بـ(لم) في قوله: ﴿ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴾ .

في هاتين الآيتين يُبين الله تعالى سببين من أسباب عذاب المجرمين في سقر، وهما ترك الصلاة، وترك طعام المسكين؛ وقد عبَّر القرآن الكريم عن هذين

(١) التفسير الوسيط – مجمع البحوث ج١٠ ص١٦٧٣.

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ج٣ ص ١٣٥.

السلوكين بالفعلين المضارعين المنفيين بـ (لم) للدلالة على التجدد والاستمرار، فإن الصلاة عبادة مستمرة في وجوبها، لا تسقط عن المسلم في أي حال، وهي كذلك متجددة في أدائها اليومي بأوقاتها المتعددة، وإطعام المسكين سلوك يتكرر بتكرر الحاجة وظهور الفقر في المجتمع، ويُنتظر من المؤمن أن يلتزمه باستمرار.

جاء في معاني النحو:" فما كان شأنه التجدد والاستمرار نفاه بـ (لم) مع المضارع، وما حدث مرة واحد نفاه بـ (ما) مع الماضي""[1].

وقد عكست هذه الدلالة الصرفية خطورة التقصير المتكرر في الطاعات التي أمر الله بها، إذ إن ترك الصلاة يدل على انقطاع الصلة بالله، وترك إطعام المسكين يدل على انقطاع الصلة بالمجتمع.

ج-الدلالة التركيبية في الآيات:

*** دلالة حذف النون من مضارع كان المنفي بلم** ﴿ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

في هاتين الآيتين يعترف المجرمون على أنفسهم بأنهم لم يكونوا من المؤمنين المصلين لله، ولم يكونوا ممن يُطعم المساكين والفقراء، وذلك في معرض أسباب عذابهم، وقد جاء التعبير بـ" لم نك" بحذف النون من الفعل "نكون":" دلالة على ما هم فيه من الضيق عن النطق حتى بحرف يمكن الاغتناء عنه، ودلالة على أنه لم يكن لهم نوع طبع جيد يحثهم على الكون في عداد الصالحين، وكان ذلك مشيراً إلى عظيم ما هم فيه من الدواهي الشاغلة بضد ما فيه أهل الجنة من الفراغ الحامل لهم على السؤال عن أحوال غيرهم"[2].

(١) معاني النحو ج٤ ص ١٩٦.

(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ج٨ ص ٢٣٧.

وحذف النون في هذا الموضع يدل على حالة نفسية شديدة يعيشها المجرمون، فهم في موقف حساب وعذاب، يحيط بهم الخوف والضعف من كل جانب، فلا يقوون حتى على إتمام الألفاظ، فكأن حذف النون من المضارع مترتب على الإسراع في النطق، وقد نشأ هذه الإسراع نتيجة للحالة النفسية التي عليها المجرمون من الخوف والضيق وعدم القدرة على الكلام(١).

ويمكن القول: إن الدلالة الصرفية ساعدت في بيان أن التهاون في العبادة والرحمة يُفضي إلى الانهيار على كل المستويات النفسية والاجتماعية، ويؤدي إلى مجتمع يفتقد الإنسانية، فلا يُطاع فيه الله، ولا يُرحم فيه الضعفاء.

الموضع الثالث:

قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ (الفجر: ١٧ – ١٨).

أولا: معنى الآيات الكريمة:

بعد أن ذمّهم الله تعالى في الآيات السابقة لهاتين الآيتين على قبح الأقوال، ذمّهم في هذه الآيات على قبح الأفعال الذي هو شرّ من سابقه، وهو أنه يكرمهم بكثرة المال، ثم لا يؤدون حق الله فيه، فأنتم أيها الأغنياء الموسرون لا تُكرمون اليتيم ولا تُحسنون إليه، ولا تحضُّون أنفسكم أو غيركم على طعام المساكين، ولا يحث بعضكم بعضا على صلة الفقراء، ولا تأمرون بعضكم بعضا بالإحسان إلى المحتاجين(٢).

(١) بالاستئناس في ذلك بما ذكرته أ. د/ سوسن الهدهد في بحثها (من قصص النساء في القرآن دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي) مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد(١٦١ الجزء الثاني) ديسمبر ٢٠١٤: ص ٧٥٤.

(٢) التفسير المنير للزحيلي ج٣٠ ص ٢٣٢.

ثانيًا: مناسبة الآيات الكريمة للمقصد العام للسورة:

ذكر البقاعي أنَّ مقصود سورة الفجر: "الاستدلال على آخر الغاشية: الإياب، والحساب بالثواب والعقاب "(١).

فالتناسب واضح بين المقصد العام للسورة وبين الآيتين الكريمتين، حيث جاءت الآيتان في مقام التأنيب والردع والتكذيب للذين يحتقرون اليتيم ولا يؤدون حقه من الإكرام والإحسان، وللذين يبخلون على المساكين بإطعاهم، وحض بعضهم بعضا على ذلك.

ثالثًا: الدراسة التحليلية للآيات:

أ-الدلالة الصرفية في الآيات:

***تَحَاضُّون:**

أصله:" تَتَحَاضُّونُ فَحُذِفَتْ إِحْدَى التَّاءَيْنِ اخْتِصَارًا للتَّخْفِيف، أَي: تتمالؤون عَلَى تَرْكِ الْحَضّ عَلَى الْإِطْعَامِ"(٢)، ولهذه اللفظة القرآنية قراءتان إثبات الألف بعد الحاء مع فتحها والمد للساكنين، وضم التاء مع الألف(٣)، وتحاض على وزن(تفاعل) التي تفيد معاني متعددة، وتفيد الصيغة هنا معنى المشاركة، أي: ولا يحث بعضكم بعضا على طعام المساكين وإصلاح شوؤنهم، قال الرازي:" وَمَنْ قَرَأَ وَلَا تَحَاضُّونَ، أَرَادَ تَتَحَاضُّونَ فَحُذِفَ تاء تتفاعلون، والمعنى: لا يَحُضُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: وَلا تحَاضُّونَ بِضَمِّ التَّاءِ مِنَ الْمُحَاضَّةِ(٤).

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ج٣ ص١٩٠.

(٢) التحرير والتنوير ج٣٠ ص٣٣٤.

(٣) ينظر: النشر في القراءات العشر ج٢ ص٤٠٠، إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر ص ٥٨٤.

(٤) تفسير الرازي ج٣١ ص١٥٧.

فالقراءة الأولى (تتحاضون) تُفيد المشاركة الجماعية في الحث، أي أنَّ الناس لا يحض بعضهم بعضًا على إطعام المساكين، والقراءة الثانية (تُحاضون) تُشير إلى انعدام فعل الحث ذاته، أي أنَّ التحاض نفسه لم يكن موجودًا لا في الفرد ولا في الجماعة.

وهذه القراءات تتكامل للكشف عن المعنى الاجتماعي، والذي يتمثل في بيان أَنَّ التكافل الاجتماعي لا يتم إلا من خلال المشاركة الفاعلة في الحث وإعانة الفقراء والمساكين، ولا سبيل إلى ذلك سوى التواصي بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، قال الإمام المراغي: "وإنما ذكر التحاضّ على الطعام ولم يكتف بالإطعام، فيقول: ولم تطعموا المسكين-؛ ليبين أن أفراد الأمة متكافلون، وأنه يجب أن يوصي بعضهم بعضا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع التزام كلّ بفعل ما يأمر به أو ينهى عنه"(١).

*** الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى:** ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ **(الفجر:١٧، ١٨).**

"واختلف في (تكرمون وتحضون وتأكلون وتحبون) فأبو عمرو ويعقوب سوى الزبيري عن روح بالياء من تحت في الأربعة حملا على معنى الإنسان المتقدم وافقهما اليزيدي، والباقون بالخطاب للإنسان المراد به الجنس التفاتا ومعهم الزبيري عن روح وافقهم الحسن وابن محيصن بخلفه"(٢)

قال الآلوسي: قوله- سبحانه-: "بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ" ... إلخ. انتقال وترق من ذم هذا الإنسان على القبيح من القول، إلى الأقبح من الفعل، والالتفات إلى الخطاب، لتشديد التقريع، وتأكيد التشنيع.. والجمع باعتبار معنى الإنسان، إذ

(١) تفسير المراغي ج٣٠ ص١٥٠.

(٢) اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي: ص ٥٨٤، دار الكتب العلمية – لبنان – ط١، ١٤١٩هـ١٩٩٨م .

المراد الجنس، أى: بل لكم أفعال وأحوال أشد شرا مما ذكر، وأدل على تهالككم على المال، حيث أكرمكم- سبحانه- بكثرة المال، ولكنكم لم تؤدوا ما يلزمكم فيه من إكرام اليتيم(١).

والدلالة الصرفية هنا تحمل بُعدًا اجتماعيًا مهمًا، يتمثل في التنبيه على خطورة التخلي عن التكافل، ليس فقط بالفعل، بل حتى بالحث عليه، فالآية الكريمة تُوجه المسلمين إلى أن يكونوا متعاونين رحماء فيما بينهم، فإن لم يقدر أحدهم على العطاء، فعليه أن يحث غيره.

ب-الدلالة التركيبية في الآيات:

*** دلالة (كلا، بل) في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾ (الفجر:١٧).**

في هذه الآية الكريمة وردت آداتان من أدوات المعاني، هما: (كلا، بل): "ذهب الخليل، وسيبويه، وعامة البصريين إلى أن (كلا) حرف ردع وزجر، وذهب الكسائي وتلميذه نصير بن يوسف، ومحمد بن أحمد بن واصل، إلى أنها تكون بمعنى حقاً، ومذهب النضر بن شميل أنها بمعنى نعم، وركب ابن مالك هذه المذاهب الثلاثة، فجعلها مذهباً واحداً، قال في التسهيل (كلا) حرف ردع وزجر، وقد تؤول بحقاً، وتساوي إي معنى واستعمالاً" (٢).

فقول الله تعالى في هذه الآية-:"كَلَّا زجر وردع عن قول هذا الإنسان رَبِّي أَكْرَمَنِ عند حصول النعمة، وعن قوله رَبِّي أَهانَنِ عند حصول التقتير في الرزق؛ لأن الله- تعالى- قد يوسع على الكافر وهو مهان ومبغوض منه- تعالى-، وقد يضيق- سبحانه- على المؤمن مع محبته له، وكلا الأمرين حاصل بمقتضى

(١) روح المعاني ج٣٠ ص ١٢٧ .

(٢) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني ص ٥٧٧.

حكمته- عز وجل- والمؤمن الصادق هو الذي يشكر عند الرخاء، ويصبر عند البأساء"(١).

فأسلوب الزجر في هذه الآية الكريمة كان توبيخًا وتقريعًا لقصور نظر الإنسان في اعتقاده أن التوسعة للإكرام، والتضييق للإهانة.

أما (بل) فهي حرف من حروف العطف:" فيعطف بهَا بعد النَّفْي أَو النَّهْي، وَمَعْنَاهَا حِينَئِذٍ تَقْرِير مَا قبلهَا بِحَالهِ وَإِثْبَات نقيضه لما بعْدهَا... وبعد الإثبات أَو الأَمر، وَمَعْنَاهَا حِينَئِذٍ نقل الحكم الَّذِي قبلهَا للاسم الَّذِي بعْدهَا وَجعل الأول كالمسكوت عَنهُ"(٢).

و(بل) في هذه الآية الكريمة للإضراب الانتقالي، من ذمهم على قولهم القبيح- وهو أن الإكرام في الإعطاء، والإهانة في المنع- إلى ذمهم بما هو أشنع منه، وهو ارتكابهم للأفعال القبيحة_ وهو عدم إكرام اليتيم، وعدم الحض على طعام المسكين.

يقول ابن عاشور: "(بَلْ) إِضْرَابٌ انْتِقَالِيٌّ، وَالْمُنَاسَبَةُ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ الْمُنْتَقِلِ مِنْهُ وَالْمُنْتَقِلِ إِلَيْهِ مُنَاسَبَةُ الْمُقَابَلَةِ لِمَضْمُونِ، فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ مِنْ جِهَةِ مَا تَوَهَّمُوهُ أَنَّ نِعْمَةَ مَالِهِمْ، وَسَعَةَ عَيْشِهِمْ تَكْرِيمٌ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ، فَنَبَّهَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُكْرِمُوا عَبِيدَهُ شُحًّا بِالنِّعْمَةِ، إِذْ حَرَمُوا أَهْلَ الْحَاجَةِ مِنْ فُضُولِ أَمْوَالِهِمْ وَإِذْ يَسْتَزِيدُونَ مِنَ الْمَالِ مَا لَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ دَحْضٌ لِتَفَخُّرِهِمْ بِالْكَرَمِ وَالْبَذْلِ"(٣).

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي ج١٥ ص٣٩٠-٣٩١.

(٢) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت٧٦١هـ) ص ٥٨١، تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا.

(٣) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٣٢.

وهذا وقد جاء أسلوب الزجر والانتقال في سياق الآيات لتصحيح مفاهيم اجتماعية خاطئة ترسخت في بيئة مكة الجاهلية، حيث ساد التكالب على المال، وانتشرت القسوة والبخل، خاصة تجاه الضعفاء كاليتامى والمساكين، فكان الردع بأسلوب (كلا) و(بل) دعوة مجتمعية للإصلاح، وتحذيرًا من تجاهل حقوق الفقراء واليتامى، مما يُؤكد أهمية التكافل في بناء مجتمع سليم.

الموضع الرابع:

قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ **(الماعون من ١: ٣).**

أولا: معنى الآيات الكريمة:

بدأت السورة الكريمة باستفهام أُريد به تشويق السامع إلى التعرف على الذي يُكذِّب بالحساب والجزاء في الآخرة، والمعنى:" أأبصرت يا محمد الذي يُكذِّب بالحساب والجزاء؟ أو بالمعاد والجزاء والثواب...، فَذلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ، وَلا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ، أي: هو الذي يدفع اليتيم عن حقه دفعا شديدا، ويزجره زجرا عنيفا، ويظلمه حقه ولا يحسن إليه"(١).

ثانيًا: مناسبة الآيات الكريمة للمقصد العام للسورة:

جاء في التحرير والتنوير، لابن عاشور:" من مقاصدها التَّعْجِيبِ مِنْ حَالِ مَنْ كَذَّبُوا بِالْبَعْثِ وَتَفْظِيعِ أَعْمَالِهِمْ مِنَ الِاعْتِدَاءِ عَلَى الضَّعِيفِ وَاحْتِقَارِهِ وَالإِمْسَاكِ عَنْ إِطْعَامِ الْمِسْكِينِ، وَالإِعْرَاضِ عَنْ قَوَاعِدِ الإِسْلامِ مِنَ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ لأَنَّهُ لا يَخْطُرُ بِبَالِهِ أَنْ يَكُونَ فِي فِعْلِهِ ذَلِكَ مَا يَجْلِبُ لَهُ غَضَبَ الله وعقابه"(٢).

(١) التفسير المنير للزحيلي ج٣٠ ص ٤٢٣.

(٢) التحرير والتنوير ج٣٠ ص ٥٦٤.

والمناسبة واضحة بين مقاصد السورة، والآيات الكريمة موضوع الدراسة، فعدم الحض على طعام المسكين، وعدم الإحسان إلى اليتيم من الأفعال القبيحة المنكرة، ولو أنَّ المكذب بالدين آمن بالجزاء لما صدر عنه تلك الأفعال، فاستحق من يقوم بهذه الأفعال القبيحة غضب الله وعقابه.

ثالثًا: الدراسة التحليلية للآيات:

ب-الدلالة الصرفية في الآيات:

***التعبير بالأفعال المضارعة (يُكَذِّبُ، ويَدُعُّ، ويَحُضُّ):**

جاء التعبير القرآنيّ بالأفعال المضارعة(يُكَذِّب، ويدُعُّ، ويحُضُّ)، بدلاً من الأفعال الماضية؛ لما في المضارع من دلالة على التجدد والاستمرار، والتعبير بالفعل المضارع هنا؛ يُصور أفعال المكذب بالدين تصويرًا حيًا متكررًا، وكأنها حاضرة أمام السامع، وهذه الأفعال القبيحة – كالإساءة إلى اليتيم، وترك الحض على طعام المسكين– لم تكن طارئة، بل صفات متأصلة ومتجددة في سلوك هذا الإنسان المكذّب، قال ابن عاشور:" وَجِيءَ فِي يُكَذِّبُ، ويَدُعُّ، ويَحُضُّ بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ؛ لِإِفَادَةِ تَكَرُّرِ ذَلِكَ مِنْهُ وَدَوَامِهِ"(١).

وهذا الأسلوب يُحدث أثرًا تربويًا بالغًا في نفس المتلقي، إذ يجعله يستشعر قبح هذه الأفعال واستمراريتها، فيردعه عن الوقوع فيها، وفي ذلك من الدلالة الاجتماعية ما فيه، فإذا تلقَّى الإنسان هذا الأمر الإلهيّ بقلبه وسمعه، وتأثرت جوارحه، فأصبح بعيدًا كل البعد عن هاتين الصفتين المذمومتين، عمَّ الخير المجتمع، وتكاتف جميع أفراده، ولم تجد يتيما مقهورًا، ولا مسكينًا محروماً.

ج-الدلالة التركيبية في الآيات:

أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾ .

(١) التحرير والتنوير ج٣٠ ص ٥٦٥.

جاء افتتاح السورة بأسلوب الاستفهام في قوله (أرأيت)، وهو استفهام خرج عن معناه الأصلي إلى المبالغة في التعجب، كما أشار الرازي، حيث قال:"وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ وَإِنْ كَانَ فِي صُورَةِ الِاسْتِفْهَامِ، لَكِنَّ الْغَرَضَ بِمِثْلِهِ الْمُبَالَغَةُ فِي التَّعَجُّبِ"(١)، أو إلى معنى التوقيف والتنبيه كما ذكر الثعالبي، حيث قال:"قوله سبحانه: أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ الآية، توقيفٌ وتنبيهٌ لِتَتَذَكَّرَ نَفْسُ السامعِ كلَّ من تعرفُه بهذه الصفةِ"(٢)، أو التشويق والإثارة كما ذكر الصوفيّ، حيث قال الاستفهام: "أُريد به تشويق السامع إلى معرفة مَن سبق له الكلام والتعجب منه، والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل سامع"(٣).

فالاستفهام في الآية الكريمة للمبالغة في التعجب من حال المكذبين بالحساب، وما ترتب على هذا التكذيب من سوء أفعالهم من الإساءة إلى اليتامى وعدم طعام المساكين، بالإضافة إلى التشويق وتنبيه السامع لمثل هذه الصفات، مما يكشف عن معنى اجتماعي ونفسي بالغ الأثر، يتمثل في بيان خطورة التكذيب بالعقيدة حين يتحول إلى خلل أخلاقي في المجتمع، فيتجلى في قسوة القلب، وغياب الرحمة، وإهمال حقوق الضعفاء مما يؤدي إلى تفكك المجتمع وانعدام التكافل.

***دلالة التعبير باسم الإشارة (ذلك) في قوله تعالى:** ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ **:**

جاء التعبير باسم الإشارة (ذلك) – الدال على البعد– للإشارة إلى من يُكذب بالدين، وقد استخدمه القرآن الكريم لزيادة التشويق، وللتنبيه على بُعد منزلة المكذب بالدين في الشر والفساد، يقول أبو السعود:" ووضعُ اسمِ الإشارةِ المتعرِّضِ لوصفِ

(١) تفسير الرازي ج٣٢ ص ٣٠١.

(٢) تفسير الثعالبي ج٥ ص ٦٣٠.

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ج٧ص ٣٥٩.

المشارِ إليهِ موضعَ الضميرِ للإشعارِ بعلةِ الحُكم والتنبيهِ بمَا فيه من معنى البعد على بُعدِ منزلتِه في الشرّ والفسادِ"(١).

وقد جعله ابن عاشور أداة تمييز وتشخيص حادّ لشخصية المكذّب، فقال: "وَالإِشَارَةُ إِلَى الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ بِاسْمِ الإِشَارَةِ لِتَمْيِيزِهِ أَكْمَلَ تَمْيِيزٍ حَتَّى يَتَبَصَّرَ السَّامِعُ فِيهِ وَفِي صِفَتِهِ، أَوْ لِتَنْزِيلِهِ مَنْزِلَةَ الظَّاهِرِ الْوَاضِحِ بِحَيْثُ يُشَارُ إِلَيْهِ"(٢).

ويمكن القول: إن الدلالة التركيبية قد كشفت عن نموذج فاسد في المجتمع يُظهر الإيمان ويُكذب به سلوكًا، إذ لا يرحم اليتيم ولا يُواسي المحتاج، مما يُؤدي إلى تفكك قيم الرحمة والتكافل، وإشاعة القسوة والأنانية.

***الفاء في قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾:**

جاءت الفاء في الآية الكريمة لتربط بين التكذيب بالدين وبين السلوك العملي الناتج عنه، وقد تنوعت أراء المفسرين في بيان دلالتها، فذهب الرازي إلى أن الفاء تفيد السببية، فقال:"وَالْفَاءُ فِي قَوْلِهِ"فَذلِكَ لِلسَّبَبِيَّةِ"، أَيْ لَمَّا كَانَ كَافِرًا مُكَذِّبًا كَانَ كُفْرُهُ سَبَبًا لِدَعِّ الْيَتِيمِ"(٣)، ورأي الصوفي أن :"الفاء واقعة في جواب شرط محذوف، والمعنى: هل عرفتَ هذا الذي يُكذِّب بالجزاء أو بالإسلام، فإنْ أردت أن تعرفه فهو الذي يَدُعُّ، أي: يدفع اليتيم دفعاً عنيفاً، ويزجره زجراً قبيحاً"(٤).

بينما رجح ابن عاشور أنَّ الفاء للعطف، فقال:" وَالْفَاءُ لِعَطْفِ الصِّفَةِ الثَّانِيَةِ عَلَى الأُولَى، لإِفَادَةِ تَسَبُّبِ مَجْمُوعِ الصِّفَتَيْنِ فِي الْحُكْمِ الْمَقْصُودِ مِنَ الْكَلامِ، وَذَلِكَ

(١) تفسير أبو السعود ج٩ ص٢٠٣.
(٢) التحرير والتنوير ج٣٠ص ٥٦٤.
(٣) تفسير الرازي ج٣٢ ص ٣٠٢.
(٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ج٧ ص ٣٥٩.

شَأْنُهَا فِي عَطْفِ الصِّفَاتِ إِذَا كَانَ مَوْصُوفُهَا وَاحِدًا ...، فَمَعْنَى الْآيَةِ عَطْفُ صِفَتَيْ: دَعِّ الْيَتِيمِ، وَعَدَمِ إِطْعَامِ الْمِسْكِينِ عَلَى جَزْمِ التَّكْذِيبِ بِالدِّينِ"(١).

فاشتمال الآية الكريمة على حرف (الفاء) الذي يدل في الراجح على العطف، فيه دلالة على عظم الذنب :" وَفِي ذَلِكَ كِنَايَةٌ عَنْ تَحْذِيرِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الِاقْتِرَابِ مِنْ إِحْدَى هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ بِأَنَّهُمَا مِنْ صِفَاتِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْجَزَاءِ"(٢).

وقد عكست الدلالة التركيبية دلالات نفسية واجتماعية، أما الدلالة النفسية، فقد تمثلت في صفات كالشح والبخل والقسوة، وهي انعكاس لفساد نفسي داخلي ناتج عن انعدام الإيمان بالله واليوم الآخر، وأما الدلالة الاجتماعية، فتظهر من خلال أثر هذه الصفات على العلاقات الاجتماعية، إذا تُؤدي إلى غياب الرحمة وانقطاع التكافل، فالعطف هنا لا يربط مجرد صفات، بل يُبرز تلازم الفساد النفسي والسلوكي وانعكاسه على العلاقات الاجتماعية.

وكل هذا تنبيه للمجتمع كي لا يغفل عن الحرص على القيم الإنسانية، والأخلاق الرفيعة، اللذين يلعبان دوراً كبيراً في إحداث الانسجام والتعاون والترابط بين أفراد المجتمع الواحد في جو يسوده التكافل والمحبة والخير.

تعقيب:

عرض القرآن الكريم في هذه الآيات جزاء من امتنع عن الإطعام أو الحض عليه، وعند تأملها نلاحظ أن هذا الإمتناع قد اقترن بكبائر الآثام وعظائم المنكرات، ففي سورة (الحاقة) ورد الحديث عن ترك الحض على طعام المسكين بأنه إحدى موجبات دخول النار واستحقاق العذاب الشديد، مقرونًا بعدم الإيمان بالله العظيم، وفي سورة (المدثر) عدَّد القرآن الكريم أسباب دخول المجرمين في

(١) التحرير والتنوير ج٣٠ ص ٥٦٤-٥٦٥.

(٢) التحرير والتنوير ج٣٠ ص ٥٦٤-٥٦٥.

سقر وكان من أبرزها عدم إطعام المسكين، أما في سورة (الفجر)، فقد خاطب الله تعالى أهل الجاهلية الذين كانوا يزعمون أنهم على دين يقربهم إلى الله، وأنهم على شيء من ملة إبراهيم عليه السلام، فبدأ تعالى الخطاب بكلمة الزجر القرآنية الشديدة: كلا !!﴿كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾ **(الفجر: ١٧، ١٨)**.

وفي سورة (الماعون) ربط القرآن بين قهر اليتيم وترك الحض على طعام المسكين، وجعلهما من لوازم الكفر والتكذيب بيوم الدين.

وُيلحظ أن هذه الآيات صيغت بأسلوب تنديدي حافل بالوعيد والتهديد يردع النفس عن التخلي بهذه الصفات، ويُحرضها في المقابل على المسارعة إلى المكرمات، وهو ما يدل على الحالة الاجتماعية التي واجهها القرآن الكريم في بيئة قاسية، اتسمت بترك إطعام الطعام، وانقطاع الإحسان إلى الفقراء، رغم التفاخر بالكرم في مواقف المفاخرة، وتجاهله في مواطن الحاجة.

وقد جاءت هذه المعاني في سياق لغوي بديع تمثّل في اختيار الوحدات الصوتية ذات وقع قوي في أُذن المتلقي؛ مثل (يحض، العقبة، مسغبة)، ثم اختيار بعض الصيغ والأوزان التي تدل على الاستمرارية؛ مثل(يحض، يكذب، يدع) مما يُضفي تأكيدًا على الاستهانة المتكررة بإطعام الطعام، وأخيرًا الوحدات التركيبية التي برزت من خلال تنوع الأساليب ما بين نفي ونهي وزجر وعطف، وكل هذه الوحدات تُعزز التأثير في المتلقي، وتحمله مسؤولية أخلاقية واجتماعية تتجاوز حددو الفرد إلى بناء المجتمع كله.

الخاتمــة

الحمد لله الذي أنزل كتابه هدى ورحمة للعالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمدٍ النبي الأمي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فبعد هذه الوقفة التأملية مع بعض آيات إطعام الطعام، وما تحمله من دلالات عظيمة، يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية:-

- لغة القرآن الكريم هي أجدر لغة للدراسة في ضوء علم اللغة الاجتماعي؛ لما تحمله من مبادئ تربوية تسهم في بناء المجتمع.
- كانت قيمة إطعام الطعام حاضرة في المجتمع العربي قبل الإسلام، إلا أن الإسلام رفع من شأنها وجعلها من ركائز القيم الإنسانية والاجتماعية.
- يُعد إطعام الطعام من العبادات العظيمة، التي ترتبط بسمو المكانة في الدنيا والآخرة، وهو واجب اجتماعي يتحمله القادرون من المسلمين.
- تبرز أهمية إطعام الطعام في تحقيق الأمن الغذائي للمجتمع المسلم وللإنسانية عامة.
- ساهمت الأصوات والبنى الصرفية والتركيبية في إبراز المعاني الاجتماعية داخل النص.
- آثر التعبير القرآني استخدام ألفاظ ذات وقع قوي يتناسب مع السياق، كقوله تعالى: "تَحاضُّون"، "اقْتَحَم"، "العقبة"، حيث حملت إيحاءات بالحث والجهد والمشاركة.

– كان للصيغ الفعلية والاسمية دورٌ مهمٌ في الكشف عن الدلالات الاجتماعية في بيان نتيجة ترك إطعام الطعام أو ترك الحث عليه[١].

–أظهر التعبير بصيغة (تفاعل) في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾ **(الفجر:١٨)** دلالة المشاركة الاجتماعية، وضرورة التواصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

–كشف التعبير بالإضافة في قوله تعالى: (طَعامِ الْمِسْكِين) دلالة اجتماعية تتمثل في تأكيد الحق الخاص بالمسكين، وترغيب الناس في التصدق علي.

– تنوعت الأساليب في آيات الإطعام بين الأمر، والزجر، والاستفهام، ولكل منها دورٌ في إظهار المعاني الاجتماعية.

– كان لأسلوب الأمر في قوله تعالى(فَكُلُوا مِنْها)، وقوله (وَأَطْعِمُوا الْقانِعَ وَالْمُعْتَرَّ) دلالة اجتماعية تهدف إلى التكافل والتراحم بين أفراد الأمة الواحدة مما يساعد على تعزيز روح المحبة والمودة بينهم.

– أظهر العطف بالواو في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾ عن دلالة اجتماعية تتمثل في تحذير المسلمين من الاقتراب من صفة البخل على المساكين والفقراء؛ وذلك لعطفها على صفة عدم الإيمان بالله.

- كشف أسلوب الزجر (كلا) في قوله تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾ (الفجر:١٧) عن واقع نفوس مجتمع مكة في ذلك الوقت تنديدًا لهم بهذا الواقع، وردع عنه يتمثل في تكرار كلمة (كلا) في السورة الكريمة مرتين.

---

(١) بالاستئناس في ذلك بما ذكرته أ. د/ سوسن الهدهد في بحثها (لغة القرآن الكريم في قصة أصحاب الجنة دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي)، ص ٦٢٦ كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة، جامعة الأزهر، نُشِر في مجلة الزهراء، العدد ٣٠، ١٤٤٢هـ–٢٠٢٠م.

- من أبرز ما توصل إليه البحث أنَّ الخطاب القرآني يجمع بين المعنى النفسي والاجتماعي في بنية تركيبية واحدة، كالعطف في قول تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ (الفجر: ١٧ – ١٨).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ثبت المصادر والمراجع

- اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، دار الكتب العلمية– لبنان – ط١، ١٤١٩هـ١٩٩٨م.
- أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي(ت ٥٤٣هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الأضداد، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن الأنباري (ت٣٢٨هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (المكتبة العصرية، بيروت – لبنان)، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل،دار الفكر – بيروت، ط ١٤٢٠ هـ .
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت١٢٢٤هـ)،تح :أحمد عبد الله القرشي رسلان، حسن عباس زكي–القاهرة– ١٤١٩هـ.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية، تونس،(١٩٨٤هـ).
- التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت١٤١٩هـ)، دار المعارف – القاهرة، ط٧ .

- تفسير الشعراوي (الخواطر)، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، نشر عام ١٩٩٧ م.
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي- القاهرة.
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر، ط١،(١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م).
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، (دار طوق النجاة، بيروت – لبنان)، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، ط١.
- التفسير الوسيط للزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، ط١،(١٤٢٢هـ).
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور(ت ٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، (دار إحياء التراث العربي – بيروت)، ط١، ٢٠٠١م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣ م.
- جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت ١٣٦٤هـ)، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط ٢٨، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت١٣٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤، ١٤١٨هـ.

- جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبى – دمشق، ط٢، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي(ت ٣٢١هـ)، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

- الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي(ت٧٤٩هـ)، تح: فخر الدين قباوة – محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١،(١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م).

- حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط ١، ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م.

- الخطاب القرآني في آيات حب الله تعالى للمحسنين دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي، بحث للدكتورة /فاطمة رجب حسانين الباجوري، أستاذ مساعد بقسم أصول اللغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة، جامعة الأزهر، نُشِر في مجلة الزهراء، العدد ٢٩، ١٤٤١هـ–٢٠١٩م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت ٣٥٤هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت.

- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت١٣٩٤هـ)، (دار الفكر العربي).

- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تح: حسن هنداوي، دار القلم – دمشق، ط١، ١٩٨٥م.
- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري(ت ١٣هـ) تح: مصطفى السقا، ط٢، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا.
- شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت٦٧٢هـ)، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، ط ١.
- صيد الأفكار في الأدب والأ خلاق والحكم والأمثال، حسين بن محمد المهدي – عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية، سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة ٢٠٠٩م، راجعه: عبد الحميد محمد المهدي.
- ظاهرة التقارض في النحو العربي، أحمد محمد عبد الله، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م .
- علم الصوتيات، عبد العزيز علام، عبدالله ربيع، مكتبة الرشيد، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.
- علم اللغة الاجتماعي(مدخل)، كمال بشر، دار غريب.
- علم اللغة الاجتماعي، هدسون، ترجمة : محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠.

- علم اللغة الاجتماعي عند العرب، هادي نهر، ط ١ – ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار النهضة العربية–مصر.
- العين، لخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار الهلال.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.
- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة.
- الفكر الصوتي عند العرب دراسة تحليلية، عبد المنعم عبدالله محمد، ط١، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م .
- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق – سوريا، ط٢، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تح/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣– ١٤٠٧هـ.
- لسان العرب،محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت٧١١هـ)، (دار صادر – بيروت)، ط ٣، ١٤١٤ هـ.

- لغة القرآن الكريم في قصة أصحاب الجنة دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي، بحث للدكتورة /سوسن حسانين الهدهد، أستاذ مساعد بقسم أصول اللغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة، جامعة الأزهر، نُشِر في مجلة الزهراء، العدد ٣٠، ١٤٤٢هـ-٢٠٢٠م.

- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط ٣، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

- مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تح: زهير عبد المحسن سلطان، (مؤسسة الرسالة – بيروت)،ط ٢ ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)،تح: علي النجدي ناصف وآخرين، (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة،١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م).

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان- ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- المحكم والمحيط الأعظم ،أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، (دار الكتب العلمية – بيروت)،ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه، المطبعة الرحمانية – مصر، ط١٩٣٤ .

- المختصر في أصوات اللغة العربية، محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، ط٤، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، عدنان محمد زرزور، دار القلم-دار الشاميه - دمشق/ بيروت، ط ٢، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

- مدخل إلى علم اللغة، محمد حسن عبد العزيز، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة (د ط ت) .

- مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، محمد عفيف الدين دمياطي، مكتبة لسان عربي، مالنج - أندونيسيا- ط٢ -٢٠١٧م-١٤٣٨هـ.

- مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي في الوطن العربي (محاور ونظريات)، ريم البسيوني، المملكة العربية السعودية - الرياض-ط١(١٤٤٠هـ-٢٠١٨م).

- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن حسن جبل، (مكتبة الآداب - القاهرة) ،ط ١، ٢٠١٠ م.

- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، مدرس أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون- جامعة الأزهر، دار الفضيلة.

- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا(ت ٣٩٥هـ) تح: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر).

- معجم متن اللغة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت، (١٣٧٧-١٣٨٠هـ).

- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة،(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.

- المحبر، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت٢٤٥هـ)، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي(ت٨٨٥هـ)، مكتبة المعارف – الرياض، ط ١، (١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م).

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت٧٧٠هـ) المكتبة العلمية – بيروت.

- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، تح/ محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، (دار طيبة،ط٤، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧ م).

- معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، ط٢، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م

- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ .

- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط١،– ١٤١٢ هـ.

- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي (ت: ١٤٠٨هـ)، دار الساقي، ط٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

- مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

- الممتع الكبير في التصريف، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور (ت ٦٦٩هـ)، مكتبة لبنان، ط١, ١٩٩٦.

- الموسوعة القرآنية خصائص السور،جعفر شرف الدين، تح: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

- من قصص النساء في القرآن دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي) مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد(١٦١ الجزء الثاني) ديسمبر ٢٠١٤.

- النحو الوافي، عباس حسن (ت ١٣٩٨هـ)، دار المعارف، ط١٥.

- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

References

- *Ethaf Fudalaa Al-Bashr fi Al-Qiraat Al-Irbaa Aasher*, Shahab Ad-Din Ad-Domiaty, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Lebanon – 1st Edition , 1419AH,1998AD.
- *Ahkam Al-Quran*, Judge Mohammed Al-Maafari Al-Ashbili , Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut – Lebanon, 3rdEdition, 1424AH - 2003AD.
- *Irshad Al-Akl As-Salim li Mazaya Al-Kitab Al-Karim* , Abu As-Saud Al-Emadi Muhammad, Dar Ihyaa At-Turath Al-Arabi – Beirut.
-*At-Tahrir wa At-Tanweer*, Muhammad At-Taher bin Ashour, Ad-Dar At-Tunisiyyah, Tunis,(1984AH).
- *Tahzib Al-Lughah*, Abu Mansour , Dar Ihyaa At-Turath Al-Arabi – Beirut,1stEdition, 2001AD.
- *Elm Al-Lughat Al-Ijtimaei (Madkhal),* Kamal Bishr, Dar Gharib.
- *Elm Al-Lughat Al-Ijtimaei*, Hudson, translated by: Mahmoud Ayyad, Aalam Al-Kutub , Cairo , 2nd Edition , 1990.
- *Mukhtasar fi Aswat Al-Lugha Al-Arabiya*, Muhammad Hassan Jabal, Al-Adab Bookshop, 4th Edition,1427AH-2006AD.
- *Madkhal Ila Tafsir Al-Quran wa Ulomuh*, Adnan Muhammad Zarzour, Dar Al-Qalam- Dar Ash-Shamiya - Damascus/ Beirut, 2nd Edition, 1419AH - 1998AD.
- *Mujam Maqayees Al-Lughah*, Dar Al-Fikr.
- *Nazam Ad-Durar fi Tanasub Al-Ayat wa As-Swar*, Al-Buqai , Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut - 1415AH - 1995AD.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	ملخص البحث
٢	مقدمة
٣	تمهيد
٤	المبحث الأول: إطعام الطعام في شعيرة الحج
٥	المبحث الثاني: إطعام الطعام في المجاعات
٦	المبحث الثالث: الترهيب من منع إطعام الطعام، وعقوبته
٧	الخاتمة
٨	ثبت المصادر والمراجع
٩	فهرس الموضوعات